نزوع بنية النسَب من الشذوذ إلى الشيوع بين التراث والمعاصرة

د. محمود عبد المنعم عبد الله الديب[1]

مقدمة

ألفاظ اللغة هى عالم الإنسان الرمزي، الذي يبلغ أعلى درجات التجريد في بناه الصرفية، تلك التي تنطوي على نسق من العلاقات شبه الثابتة، فيسهل رصدها كُلَّما نَحَت اللغة إلى الاطراد والقياس، ومن ثمَّ قد يبدو لبعض الباحثين أن ألفاظ اللغة المنقادة لسلطان القياس هي معيار الصواب المطلق، وهنا مكمن الخطر في تحليل اللغة، لِمَا ينطوي عليه ذلك من افتراضٍ لصوابيَّةٍ مطلقةٍ لمستوى لغوي تاريخي معيّن، يصادر الحاضر لحساب الماضي ويفتئت على المستقبل، ويجاهد طوال الوقت لمحاصرة (الشاذّ) في ركن قصيٍّ من خزائن اللغة، فإذا بدَا منه شيوعٌ على ألسنة المتكلمين، بادرنا إلى حَطِّهِ عن مرتبة الصواب التي افترضناها. أفليس هذا قمعًا لبعض أبناء الأم الواحدة؟

هكذا يصير المستوى الصوابي فكرة دراسية يراعيها الباحثون بدل أن تكون فكرة اجتماعية يراعيها المتكلم[2]. إنَّ سيرورة الحياة تستدعي تغييرات لغوية تستوعب حركتها، وليس هذا قرارًا يملكه الباحثون في اللغة بقدر ما هو احتياج حيوي لمستعملي اللغة تقبله بنية نظامها الصرفي، إذ "كل ما يطرأ على (البنية[3]) من أحداث أو أعراض– أو ما شئت من عوارض– لا يقع لها من الخارج بل من شأن كل (بنية) أن تنطوي على (ميول كامنة) أو (اتجاهات باطنة) تكون هي المسؤولة عن كل ما قد يعرض لها من تغيرات"[4].

لأجل هذا كان التطور اللغوي (الصوتي والصرفي والمعجمي والدلالي) يستتبع تغييرًا في المستوى الصوابي من الناحية التاريخية[5]، فبعض ما كان مستساغًا في الماضي صار ممجوجًا اليوم، وبعض البنى الموصوفة بالشذوذ أو الندرة أو القلة قديمًا قد نزعت اليوم إلى الشيوع ما دامت الألسنة قد استساغتها وتوسعت فيها استعمالًا وتوليدًا.

---

[1] مدرس اللغة العربيَّة وآدابها (تخصص لغة ونحو)، بكلية الألسن- جامعة كفر الشيخ.
[2] انظر، المستوى اللغوي: 31.
[3] بوصفها نسقًا ينطوي على علاقات تتمتع بدرجة معينة من الثبات الذي يكفل لها الاستمرار.
[4] مشكلة البنية: 35.
[5] انظر، اللغة بين المعيارية والوصفية: 68.

فإذا أردنا أن نكون أبناء مخلصين للساننا وزماننا، وجب علينا إعادة النظر في أفكار اللغة وبعض أحكام علمائها بما يوافق روح العصر ولا يجافي فطرة اللسان، لأنّ واجب كل جيل أن يضع رؤيته المعرفية الخاصة للمنجز اللغوي، بما يناسب احتياج العصر، لئلا تتعرض اللغة على أيدينا للضيم والافتقار، وألسنة المتكلمين للتحجير والإسكات.

ومن ثم كان نزوع بعض بِنَى العربية الموصوفة بالشذوذ إلى الشيوع، ضرورةً مشروعةً لسد الحاجة دون اتهام بالمروق، فـ"حين تشيع مجاوزة لغوية وتنشر رايتها على الألسنة يتحول عنصرها وتتبدل صفتها وتأخذ رتبة (قاعدة)، قاعدة لها علينا كل ما للقاعدة من حقوق. وما كان لهذه المخالفة أن تبسط سلطانها لو لم تكن تقَدِّم فكرًا وتحقق وصلا وتسد فراغًا وتثبت نجاعة. لقد تمت لها المواضعة فصارت من ثم لغةً"[6].

وما هذا ببعيد عن قول ابن جني: "الفروع إذا تمكَّنت قويت قوة تسوغ حمل الأصول عليها، وذلك لإرادتهم تثبيت الفرع والشهادة له بقوة الحكم"[7].

والشهادة حُكْمٌ بمشروعية الشيوع ولا سيما ما كان منسوجًا في النظام اللغوي، وإنْ حكمْنَا– في لحظة تاريخية معينة– بشذوذه أو ندرته أو قلته.

هذا الشيوع المعاصر لما كان شاذًّا هو رصيدٌ لنظام العربية الصرفيّ تستنفر به طاقة جديدة تضخها في شرايين اللغة المعاصرة، تصل به أرحامًا مقطوعة، وتقضي لأهلها لباناتهم، غير ضنينة بالتوسعة.

ربما كانت هذه الفكرة أجلى ما تكون في باب النسَب بوصفه "باب تغيير" كما قرر أهل اللغة[8] والنحو، مُصنَّفًا ضمن باب السماع[9] أو الشاذ[10].

والشاذّ– كما ورد في هذا البحث– ثلاثة أضرب:

الأول: النادر (وهو ما سُمِع فيه المثال الواحد بحسب ما وقع للباحث) والقليل.

الثاني: ما افترضه بعض النحاة وفيه خروج عن أصل بابه.

---

[6] مغالطات لغوية: 219.
[7] الخصائص: 184/1.
[8] جاء في [لسان العرب، سرر: 236/6]: "الأَبنية قد تُغَيَّرُ في النسبة خاصة".
[9] انظر، شرح الكافية الشافية: 1953/4.
[10] انظر، همع الهوامع: 173/6.

الثالث: ما قيّده النحاة لكنه خرج عن قيدهم وشاع في المعاصرة شيوعًا بهذا الخروج.

وهذه كلها مستويات من بنى النسَب، متنوعة الأطياف، متفاوتة في درجة شذوذها، يقول ابن مالك مقررًا هذا التفاوت: "وما جاء من المنسوب مخالفًا لما يقتضيه فهو من شواذ النسَب التي تحفظ ولا يقاس عليها، وبعضه أشذّ من بعض"[11].

وقد مضى الباحث يرصد هذا النزوع الكامن في بعض أبنية النسَب الشاذة (مسموعة أو مُفترضة أو مُقيَّدة) إلى الشيوع الذي قد يؤذن بالقياس في العربية المعاصرة، وذلك في ثلاثة مسارات:

الأول: من الندرة والقلة إلى الكثرة.

الثاني: من الافتراض إلى التحقُّق.

الثالث: من التقييد إلى الإطلاق.

ثم انتهى البحث بخاتمة فيها أهم مآلات هذه المسارات ونتائج البحث فيها.

المسار الأول: من الندرة والقلة إلى الكثرة.

تمتلك العربية نظامًا صرفيًّا مستقرًّا، يتسم بقدر كبير من الاطراد والقياس، وثبات علاقاته النسقية، وهذه السمة البارزة لا تعني أن اللغة نظام رياضي أو منطقي مثالي وإلا افتقدت سمة السيرورة التي تكفل لها حيوية النمو والتجديد واستيعاب متغيرات عالم الإنسان.

إن الخروج على القياس أو ما يُسَمِّيه النحاة (الشذوذ) علامة قوة في نظام اللغة بوجه عام، إذ هو رصيد تدّخره لتجدد به حيوية استعمالها وتسد به حاجات الأزمنة المتغيرة.

وقد نرى ذلك محقَّقًا في صورته المثلى في باب النسَب، وقد حفل هذا الباب– على ما فيه من اطّراد وقياس– بشواذّ مخالفة لا تُحصى بتعبير السيوطى[12]، ذلك أن النَّسَب– كما قرَّر العلماء– "باب تغيير"[13].

---

[11] شرح الكافية الشافية: 1964/4.

[12] انظر، همع الهوامع: 137/6، على أن حكم السيوطي بأنها (لا تحصى) كان أحوط منه الحكم بـ(الكثرة)، فإنها لا تعز على الحصر، وقد نهض بذلك الدكتور طارق النجار في كتابه (المنسوبات السماعية) الذي رتبه ترتيبا معجميًّا.

[13] شرح المفصل: 445/3.

وقد لفتت هذه الظاهرة المحدثين فأشار الأستاذ عباس حسن إلى أنَّ "العرب لم تكن لهم خطة ثابتة في النسَب إلى كثير من الكلمات، وغاية ما حرصوا عليه ألا يقع في معالم الكلمة المنسوب إليها وفي بنيتها انحراف جارف ينجم عنه أنَّ السامع يضل عن الاهتداء إلى صيغتها الصحيحة"[14].

إنَّ العربية قد كنزت ثروة من الأبنية الشاذة في هذا الباب لوقت معلوم، لتنشرها على الألسنة فتجدد بها معانيها وتصلح ما أبلته يد الدهر، ومن ذلك:

(1) زيادة (الواو) قبل (ياء النسَب):

لم تعدم العربية التراثية في خزائن شواذها المنسوبة نموذجًا تأسيسيًّا ترفد به العربية المعاصرة بما تفتقر إليه من نسبة دالة على النزعة بطريق (الواو) الزائدة قبل (ياء النسَب)، إذ يلقانا سيبويه بهذا المثال الأصل (حانوي) نسبة إلى (حانة)، يقول: "وقال الخليل من قال في يثرِب: يَثْرَبِيّ، وفي تَغْلِب: تَغْلَبِيّ ففتح مغيرًا، فإنه إن غيَّر مثل يَرْمَى على ذا الحد قال: يرمَوِيّ، كأنه أضاف[15] إلى يرمَى. ونظير ذلك قول الشاعر:

فَكَيْفَ لَنَا بِالشُّرْبِ إنْ لَمْ تَكُنْ لَنَا دَوَانِيقُ عِنْدَ الحانويّ وَلَا نَقْدُ[16]

والوجه الحانِيّ، كما قال علقمة بن عبدة:

كأْسُ عزيزٍ من الأَعْناب عَتَّقَه لبَعْضِ أَربابها، حانِيَّةٌ حُومُ

لأنه إنما أضاف إلى مثل: ناجيَة، وقاضٍ"[17]، واستدعاء (ناجية وقاضٍ) على جهة المشابهة المتوهمة، لانقلاب الياء فيهما واوًا عند النسَب، لذا يقول سيبويه في موضع آخر، "والذين قالوا: حانوي شبهوه بعمَوِي"[18].

---

[14] في أصول اللغة: 88/2.

[15] المقصود من الإضافة هنا النسب، يقول سيبويه: "هذا باب الإضافة، وهو باب النسبة" [الكتاب: 335/3].

[16] الشاهد نسبة (الحانوي) إلى (الحانة) على غير قياس، والقياس (الحانيّ). [المحقق].

[17] الكتاب: 341/3، يقول ابن يعيش مفسرًا: "وقيل: الموضع الذي يباع فيه الخمر (حانية) مثل: (ناحية)، ونسب إليه على حد النسب إلى (قاضٍ)، و(يرمي). والمشهور أن الموضع الذي يباع فيه الخمر (حانة)" [شرح المفصل: 455/4].

[18] المرجع السابق: 343/3.

والمشابهة جاءت من جهة تلمُّس الوجه في الواو ولو توهمًا، أعني على افتراض النسَب إلى (حانِيَة)، جاء في حاشية (يس) على التصريح: "وفي شرح الشواهد قال سيبويه: الوجه (الحاني) لأنه منسوب إلى (الحانَة) وهو بيت الخَمَّار، وإنما جاز أن يقال (حانويّ)، لأنه بنَى واحده على (فاعلة) من حنا يحنو إذا عطف، يريد أنه نسبةٌ إلى مقدَّر كما أشار السيرافي"[19].

و(الوجه) في كلام سيبويه هو (القياس)، أي (الحانيّ) في النسَب إلى (الحانة)، أمَّا (الحانويّ) فهو السماع والشذوذ الذى التمس له النحاة بناء مقدَّرًا متوهمًا هو (فاعلة/ حانية) على سبيل التقريب.

هذا "الأصل المقدَّر أو المتوهم" الذي يسوقه النحاة على سبيل التقريب، يتضمن– من وجه آخر– إقرارًا بشذوذ النسبة، يقول ابن يعيش: "وحكى سيبويه: (حانوي)، وأصل (حانة): (حانِيَة)، لأنه من (الحنو)، كأنها تحنو على من فيها لاجتماعهم فيها على اللذاذة"[20].

لا تخرج العربية عن أصل بلا داعٍ، ولا يعدل المتكلمون عن لفظ إلى آخر دون قصد، وبداهة لا يستوي المنسوبان: (الحانيّ) و(الحانويّ)، فهل لنا أن نقول: إن (الواو) في كلمة (الحانويّ) قد أوغلت بها درجة أبعد في النسَب إلى (الحانة) من (الحانيّ)؟

هل لنا أن نقول: إن (الواو) قد كَسَت بنية الكلمة دلالة أكثر خصوصية في معنى النسَب؟

إنَّ الحُكْمَ بالشذوذ أو السماع الذي لا ينقاس في زيادة (الواو) في مثالنا التأسيسي (الحانويّ)، قد جعل أهل اللغة والنحو يخطِّئون أي تَجَلٍّ لهذه (الواو) المقحمة ولو جاءت دفعًا للبس أو على سبيل المباينة، فعدُّوها من لحن العامة، يقول الفيومي: "والشافعيّ: نسبة إلى شافع، وكذلك إذا نسبتَ إلى ما فيه ياء النسَب فتحذف ياء النسبة الأولى ثم تُلْحِقُ النسبةَ

[19] شرح التصريح [حاشية يس]: 329/2، وانظر، شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: 100/4.
[20] شرح المفصل: 454/3، وانظر، شرح التصريح: 329/2.

الثانية، فتقول: رجلٌ شافعيٌّ في النسبة إلى محمد بن إدريس الشافعيّ، وقول العامة: شَفْعويّ، خطأ إذ لا سماع يؤيده، ولا قياس يَعْضُدُه"[21].

إنَّ انقيادَ ألسنةِ أهل العربية– في غير عصور الاحتجاج– لسلطان النظام الصرفي الذي فَطَره الأوّلون، يدعونا إلى استئناف الحُكم وإعادة النظر في مثل هذه الأحكام التي قمعت ألسنة المتكلمين بما هدتهم إليه فطرة العربية البكر. وهذا الحكم بالتخطئة ينطوي على حطٍّ من شأن فطرة عامة المتكلمين بهذا اللسان، ورغم ذلك لم يمنع هذا الحُكْم من أن تتجلَّى هذه (الواو) المقحمة في كثير من الاستعمالات المعاصرة حتى قَعَّدَ لها أهل اللغة والنحو– في نهاية الأمر– فأجازوها.

ولو كنَّا بصدد رصد تأريخي لتقلُّب هذه (الواو) في ألفاظ العربية، لراعنا أن تدخرها العربية تلك العهود المتطاولة لعصر يموج بالنَّزَعَات والمذاهب والتصنيفات والاستقطابات، فتأتي بها من فُلْكِهَا المَشْحون لتؤدي هذه الدلالات جميعًا، ومِن أظهر أمثلة العربية المعاصرة في ذلك "كلمة (الوحدويّ) نسبة إلى من ينادي بوحدة بين الشعوب العربية على اختلاف أصقاعها، وكلمة (الوحدويّة) تعبيرًا عن هذا النزوع القومي"[22]، "فالقائل: (وحدوي) يقصد النسبة إلى الوحدة، أي: النزعة التي تنادي بأنَّ العرب أمة واحدة، وأنَّ بينهم وحدة قومية... وإذا قلنا: مذهب الوحدويّة أو نزعة الوحدويّة فالمقصود التعبير عن نسبة مشتركة بين وحدات الشعوب العربية باعتبارها ترجع إلى قومية موحدة"[23].

شيوع هذه الكلمة بالواو المقحمة قبل (ياءي النسَب) على أقلام الكتَّاب وفي الصحف والكتابات السياسية ذات النزعة القومية منذ ستينيات القرن الفائت جعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة يجيز استعمالها "نسبًا على غير قياس"[24].

[21] المصباح المنير: 585.
[22] في أصول اللغة: 98/3.
[23] المرجع السابق: 99/3.
[24] المرجع السابق: 97/3.

كذلك أجاز المجمع النسَب إلى (جبهة) بـ(جبهوي) بالواو المقحمة "على أساس الفرار من اللبس إلى (جَبْه) مصدر (جَبَهَه) إذا صَكَّ جبهته أو إلى (جَبَه) من (جَبِه) إذا اتسعت جبهته"[25].

ودفعًا للبس أيضًا أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة زيادة الواو المقحمة في كلمة (نسبوي) نسبة إلى نظرية النسَبية لأينشتاين[26] ومعروف أن قاعدة النسَب إلى مثل (النسبية) أن تحذف (الياء المشددة والتاء) فيقال (نسبيّ)، حينئذٍ يقع الخلط بين المنسوب إلى (النسبة) والمنسوب إلى (النسبيّة)، وعلى هذا يقال للتمييز بينهما مثلا: (هذا الرأي نسبيّ) بالقياس إلى آراء أخرى، ويقال: (هذه الفكرة نسبويَّة) نسبة إلى نظرية النسبيَّة"[27].

كما أجاز المجمع في دورته الرابعة والسبعين "كلمة (نُخْبَويَّة)، بمعنى النسبة إلى الصفوة المختارة المفَضَّلَة على غيرها"[28]، "وهي مصدر صناعي مشتق من (النُّخْبة)، بإضافة (الواو)، والقياس (نُخْبِيَّة)"[29].

تتجلَّى (الواو) كثيرًا في ألفاظ المنسوب كما في: (عمويّ) نسبة إلى (عَمٍ)[30] و(قاضويّ) نسبة إلى (قاضٍ)، و(صحراويّ) نسبة إلى (صحراء)، و(عصويّ) نسبة إلى (عصا)، و(ملهويّ) نسبة إلى (ملهَى)، و(دمويّ) نسبة إلى (دم)، و(قُصَويّ) نسبة إلى (قُصَيّ)... وفقًا للضوابط المقررة في باب النَّسَب[31].

هذا التجلِّي المتعدد للواو قبل (ياء) النسَب هوَّن استساغة إقحام (الواو) قبل (ياء النسَب) في مثل: وحدويّ وجبهويّ ونسبويّ. لكن للواو المقحمة فائدة دلالية ليست لما جاءت في الكلمة من باب القلب كـ(عصويّ) أو رد الثالث المحذوف كـ(دمويّ)، ذلك أن (الواو المقحمة) تضفي على الكلمة المنسوبة أطيافًا دلالية جديدة كالنزعة أو الاتجاه أو... فهى

[25] كتاب الألفاظ والأساليب: 82/3، وانظر المرجع السابق: 297/2، وتيسيرات لغوية: 151.
[26] انظر، المرجع السابق: 294/2.
[27] انظر، المرجع السابق: 297/2، وتيسيرات لغوية: 151.
[28] المرجع السابق: 510/4.
[29] المرجع السابق: 511/4.
[30] هو استدعاء سيبويه أيضًا في تسويغ (الواو) في كلمة (حانوي) كما مر ذكره.
[31] انظر مثلاً: الكتاب: 335/3- 385، وشرح المفصل: 441/3- 447.

تنزع بالكلمة إلى المذهبية والمفاهيمية حتى فيما فُسِّرَ فيه جَلْبُ (الواو) على أنه أمنٌ للبس أو درءٌ له كـ(نسبويّ/ نسبويّة – جبهوي/ جبهويّة) على نحو ما مر.

أجل، إنَّ أمنَ اللبسِ أصلٌ مقررٌ في النظام الصرفي العربي، لكنَّ الطيف الدلالي للنزعة أو النظرية في مثل (النسبويَّة) مما لا يخفى.

وفي هذا السياق يبدو مثالُ (حانويّ) طريقًا نهجة في النزوع إليه واقتفاء أثره، إذ مضت العربية المعاصرة تستولد على نمطه ما يُغنيها في التعبير عن أطياف النزعات والمذاهب والنظريات والاتجاهات... نحو: إسلاموي– جماعوي– إنسانوي– عِلموي– نهضوي– ثقافوي– طاقوي– سلطوي– حداثوي– بنيوي– شعبوي... وغير هذا كثير مما يمكن للعربية أن تولّده متى دعت الحاجة، على نحو ما ورد في سياقات متنوعة الحقول المعرفية في العربية المعاصرة، منها:

- "وقد بينت دراسات ميدانيَّة أُجريت في عدد من الدول العربية وجود اتجاه إيجابي لدى المعلمين نحو استخدام العقاب بشكل عام، والعقاب البدنيّ بشكل خاص، كوسائل سلطويَّة ضد طلابهم"[32].
- "وفي حين وجد الإسلامويون الكلاسيكيون عناء كبيرًا في ربط مصيرهم بالدولة الوطنيَّة... فإنَّ أنصار إسلام السوق يراهنون على تجاوزها"[33].
- "إنهم يستثمرون الورع والقيم الخاصة ليشكلوا حداثة مسلمة ترمز إلى تراجع مزدوج للآمال العلمانية التي تدعو إلى إسلام الشأن الخاص فقط من جهة، والمشروع الإسلامويّ ذي الطبيعة الثقافويَّة الذي يدعو إلى شمولية الإسلام لكل مناحي الحياة من جهة أخرى"[34].
- "ولطالما كانت الرؤية القومية تتغذَّى بالنضال الفعلي ضد السيطرة الأجنبية (عثمانية أم استعماريَّة) أو بالنزعة الوحدويَّة العربية (الناصرية)، فإن المشروع الوحدويّ ظل يشكل الإمكانية الرئيسية لتفتيت المجتمع الأبوي المستحدث"[35].

---

[32] السلطوية في التربية العربية: 60.
[33] إسلام السوق: 42.
[34] المرجع السابق: 42.
[35] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 54.

- "... ويكون طرف النزاع فيها القوتين اللتين تطمحان إلى اقتلاع النظام الأبوي المستحدث وإحلاله بغيره: العلمانية الحداثوية والأصولية الإسلامية"[36].
- "وهكذا يبدو أن انتشار الأسرة وشيوع القيم التي تنهض عليها يشكل أخطر تهديد بنيويّ للتشكل الأبوي المستحدث القائم"[37].
- "... وترسيخه في السلوكيات والمؤسسات بمعايير العقل والشموليَّة المبطلة لمسوخ الخصوصيَّة الجهويَّة والإقليميَّة ولتزويرات الممارسات السياسويَّة"[38].
- "في الأصل كانت اللغة، وهكذا ستبقى. إنه المَركبة، الوسيلة، الجهاز، الأداة، وهي في كل تلك الحالات تستحق صفة الأُولى فضائيًّا وأرضيًّا على الصعيد الإعلامي اللحظويّ"[39].
- "وسوف أناقش كتاب مرسي باستفاضة ليس لشعبيته التي كانت محدودة... وإنما... لِمَا حفل به من نبرة أخلاقويَّة مهيمنة جديدة"[40].

أجل، قد نجد بعض الإسراف في زيادة هذه (الواو) لدى بعض الكتَّاب والمترجمين، لكن ذلك لا يحملنا على المنع ولا سيما أن لها في العربية عِرقًا بعيدًا ونسبًا أصيلاً وإن تنحَّى عهدًا طويلًا.

وأقول: تَقْوَى هذه الدلالات بلحاق (تاء النقل)[41] التي تنقل هذه الكلمات إلى باب (المصدر الصناعي)، فيقال مثلا: الإسلامويّة- الجماعويّة- النهضويّة- الإنسانويّة- العِلْمويّة- الثقافويّة- السلطويّة- الحداثويّة- البنيويّة- النخبويَّة- الشعبويّة... والأخيرة ذات شيوع بارز على ألسنة بعض المثقفين وفي مقالات الرأي.

وظاهرٌ أن الواو- في هذه المصادر الصناعية- قد أكسبتها دلالة أكثر خصوصية وتحديدًا فأعلنتها مذهبًا أو نظامًا أو اتجاهًا أو نزعة.

ومن سياقات ذلك في العربية المعاصرة:

---

[36] المرجع السابق: 160.
[37] المرجع السابق: 49.
[38] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 211.
[39] مستقبل الثورة الرقميَّة: 93.
[40] اشتهاء العرب: 336.
[41] المراد: التي تنقل الكلمة من الوصفية إلى الاسمية.

- "وتعد السلطويَّة من أهم تلك الأمراض التي يعانيها الجسم التربوي العربي المثخن بالجراح"[42].
- "ليست البنيويَّة فلسفة، لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود"[43].
- "ارتكزت عقيدة النهضة إلى العِلمويَّة بينما بقيت نظريتها في المعرفة قائمة على الأبوية"[44].
- "وعليه... فإنَّ الحداثوية التي تجد في أوروبا مجالا للتعبير عن الحداثة في الفن والأدب والفلسفة وكافة أشكال الإبداع الأخرى تصبح في ظل النظام الأبوي ممارسة تابعة وغير نقديّة"[45].
- "إنَّ الجدوى من إعادة صياغة هذه الأسئلة تتمثل أساسًا في تفادي السقوط في الفلكلوريَّة أو الثقافويَّة التي قد تؤدي إلى إما إلى التمجيد والنرجسية الفارغة أو إلى التعصب والعنصرية"[46].
- "تشكو فنوننا العربيَّة الحديثة من نُخبويَّة طاغية، وهو ما أدى إلى استفحال الأمية الفنيَّة"[47].
- "من الواضح بشدة أنَّ الأسواق والاقتصادات التي تتحكم في هذه الحركة الهائلة نحو العولمة وتوجهها هي أسواق واقتصادات رأسمالية وليست اشتراكية أو مساواتيَّة أو شعبوية"[48].
- "وقد تجلت قوميَّة ضيف في أوضح صورها عندما ناقش شعراء آخرين متهمين بالمجون والزندقة، وأرجع نتاجهم بمجمله لأصول فارسية"[49].
- "للكاتبات كل الحق في رفض مفهوم الجنسويّة في الأدب، فالأدب من حيث همومه ومشاغله هو أدب إنساني بقوة ما يطرح ويعالج"[50].

---

[42] السلطوية في التربية العربية: 7.
[43] جدلية الخفاء والتجلّي: دراسات بنيوية في الشعر: 8.
[44] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 119.
[45] المرجع السابق: 42، ويَعْتبر هشام شرابي [المرجع السابق: 38] "الحداثة (بنية) والتحديث (سياق) والحداثوية (وعي)".
[46] الحداثة وما بعد الحداثة: 195.
[47] العقل العربي ومجتمع المعرفة: 313/1.
[48] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 252.
[49] اشتهاء العرب: 172، 173.
[50] جريدة الخليج، تاريخ النشر 2016/1/30، متاح على: http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/a4fca11e-5f73-4235-a08e-edd0e22502c2، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

– "تعدّ المقترحات الدستورية للإسلامويَّة نتاج أيديولوجية القرن العشرين في معناها الأبرز"[51].

واستيلاد العربية المعاصرة لمثل هذه الكلمات يثريها، ولا ينفي انسجامَهَا في النظام الصرفي العربي ندرةُ نظيرِها القديم، فكم وَطَّأت سليقةُ القياس– إن صح التعبير– مسالكَ في العربية مهجورة!

أجل، ففي القياس طبعُ النظام اللغوي وسليقةُ ابتداع الألفاظ على بعض أمثلته وإن ندرت، "فليس من شأن القياس أن يخلق أنماطًا [نظامية] جديدة، إنما هو– ببساطة– يوسع نطاق نمط قائم بالفعل في اللغة"[52].

إنَّ لغةً تخلو من الشذوذ والندرة والقلة لهي لغة عاجزة عن الإدهاش، فارغة من روعة البغتة. وليست كذلك لغة مشهود لها بالشجاعة والبسالة.

(2) زيادة (الألف والواو) قبل (ياء النسَب).

عرفت العربية زيادة (الواو) المقحمة قبل (ياء) النسَب كما في (حانويّ)، كما عرفت زيادة (الألف) للدلالة على النسَب عوضًا من (الياء) أو معها، يقول سيبويه: "ومما جاء محدودًا عن بنائه محذوفة منه إحدى الياءين ياءَي الإضافة قولك في الشَّأم: شآم، وفي تِهَامة: تهامٍ، ومن كسر التاء قال: تِهَاميّ، وفي اليمن: يَمَانٍ[53].

وزعم الخليل أنهم ألحقوا هذه الألفاظ عوضًا من ذهاب إحدى الياءين، وكأن الذين حذفوا الياء من ثقيف وأشباهه جعلوا الياءين عوضًا منها"[54]، فكأنهم بنوا (تهامة والشأم واليمن) في النسَب على: (تَهَمِيّ أو تَهْمِيّ، وشَأْمِيّ، ويَمَنِيّ)، ثم استغنوا بالألف عن الياء[55].

وقد تجمع العرب بين (الألف والياء) فتقول: تِهَاميّ وشَآميّ[56]، كأنهم جمعوا "بين العوض والمعوَّض منه.

والأجود أن يكون قائلُ هذا نَسَبَ إلى المنسوب، ومن ذلك قول الشاعر:

---

[51] سقوط الدولة الإسلاميَّة ونهوضها: 138.
[52] مغالطات لغوية: 177.
[53] التنوين في (تهامٍ ويَمَانٍ) عِوض عن الياء المخففة المحذوفة، إذ عوملت الكلمة معاملة (ثمانٍ).
[54] الكتاب: 337/3، 338.
[55] انظر، المرجع السابق: 338/3.
[56] انظر، المرجع السابق: 338/3.

تَرْهَبُ السوطَ في اليمينِ وتنجُو كاليَمَانِيّ طارَ عنه العَفَاء"[57]

وقول عبد يغوث الحارثي:

أبا كربٍ والأيهمَينِ كليهِما وقَيْسًا بأعلى حضرموتَ اليَمانِيَا[58]

وقوله أيضًا:

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عبْشَمِيَّةٌ كأَنْ لَمْ تَرَى قبْلِي أَسِيرًا يمَانِيَا[59]

وينطوي الحكم- بأن ذا "نسب إلى المنسوب" كما يذهب ابن مالك- على مزيد تخصيص وإيغال في دلالة النسَب، وفي تعليق ابن حَجر العسقلاني على الحديث الشريف: "الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ"[60]، إشعارٌ بهذه الدلالة، يقول: "قوله (يَمَانٍ) يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان"[61]، والسكنى أوثق اتصالا بالمكان وأوغل فيه من محض الانتساب إلى أهل اليمن، ووثاقة الاتصال أحرى بأن تحقق كمال الاتصاف بالإيمان والحكمة.

إذن، ففي النسَب إلى هذه الأسماء ثلاثة مذاهب: الأول بزيادة الياء المشددة نحو (يَمَنِيّ) على القياس، والثاني بالألف نحو (يَمَان) على غير قياس[62]، والثالث بالجمع بين الألف والياء مشددة أو مخفَّفة.

كما تَجَلَّى حرفُ الألف في بعض الأسماء المنسوبة- أعلامًا وغير أعلام- مبدلا على غير قياس، ومن ذلك: (الدّاويَّة) نسبة إلى (الدّوّ)، وهي "الصحراء التى لا نبات فيها... والدّاويَّة منسوبة إليها، وتبدل من الواو المدغمة الألف، فيقال: داويَّة، إبدالا غير قياسي، كقولهم طائيٌّ وحاريٌّ"[63].

---

[57] شرح الكافية الشافية: 1960/4.
[58] المفضليات: 157.
[59] المرجع السابق: 158.
[60] صحيح البخاري: 219/5.
[61] فتح الباري شرح صحيح البخاري: 99/8.
[62] انظر، المصباح المنير، يمن: 560.
[63] الفائق في غريب الحديث: 386/2، وانظر، شرح المفصل: 458/3.

أما (حاريٌّ) فنسبةٌ على غير قياس[64] إلى مدينة (الحيرة)، "وهو من نادر معدول النسَب قلبت الياء فيه ألفًا وهو قلْبٌ شاذّ غير مقيسٍ عليه غيره. والسيوف الحاريَّة: المعمولة بالحيرة"[65].

و(طائيٌّ) نسبة إلى قبيلة (طيّئ) "على غير قياس"[66]، ذلك "أن من العرب منْ يقلب في بعض الأحوال الواو الساكنتين ألفين للفتحة قبلهما"[67].

وقد تزاد (الألف) سماعًا للفرق، كما في (إباطيّ)، جاء في اللسان: "وقول الهذلي:

شَرِبتُ بِجُمّهِ وَصَدَرتُ عَنهُ وَأَبيَضَ صارِمٍ ذَكَرٍ إباطي

أي: تحت إبطي. قال ابن السيرافي: أَصله إِباطِيٌّ فخفَّف ياء النسَب، وعلى هذا يكون صفة لصارم، وهو منسوب إِلى الإِبط"[68].

"فالنسَب القياسي إلى إِبط: إِبطِيّ، وقد حدث عدولٌ عن هذا الأصل، وذلك بزيادة الألف بزيادة ألفٍ وتحريك الباء الساكنة بالفتح لمناسبة الألف ومنعًا لالتقاء ساكنين، وعلة العدول هنا هي الفرق بين المنسوب إلى الإِبط عمومًا والموضوع تحت الإِبط، فليس كل ما ينسب إلى الإِبط يسمَّى (إِبَاطِيًّا) ولكن هذا الاسم خاص بالشيء يوضع تحت الإِبْط"[69].

قد اختزنت العربية– إذن– في حرفي (الواو) المقحمة و(الألف) الزائدة ما يفيد– على نحو ما– معنى النسَب أو مزيد تخصيص له، وإن لم يكن مقيسًا، كأن العربية تتدرج قبل أن تجمع بينهما في كلمة واحدة، والتدريج "أن يشبه شيءٌ شيئًا من موضع، فيمضي حكمُه على حكم الأول، ثم يرقى منه إلى غيره"[70].

وفي بابنا هذا تدّخر العربية التراثية مثالاً تأسيسيًّا مدهشًا هو (بكراوي) بزيادة (الألف والواو) معًا قبل (ياء النسَب)، يقول الأزهرى: "وبنو بكر في العرب قبيلتان: إحداهما

---

[64] انظر، لسان العرب، حير: 415/3.
[65] المحكم، حير: 438/3.
[66] المحكم: 250/9.
[67] سر صناعة الإعراب: 23/1.
[68] لسان العرب، أبط: 46/1.
[69] المنسوبات السماعية: 12.
[70] الخصائص: 352/1.

بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة، والأخرى بكر بن وائل في ربيعة، وإذا نسب إليها قالوا: بكري. وأما بنو بكر بن كلاب فالنسَبة إليهم بكراوي"[71].

وظاهرٌ أنَّ (الألف والواو) قد زيدتا "إرادة التمييز ودفع اللبس"[72]، وقد تهيَّأت (الألف والواو) لدلالة النسَب على نحو ما مرَّ آنفًا، فكأن إقحامهما معًا قبل (الياء المشددة) نسبٌ بعد نسبٍ لمزيد إبانة ومفارقة وتخصيص.

كما تتجلَّى (الألف والواو) كثيرًا في ألفاظ المنسوب نحو: (صفراوي) نسبة إلى (صفراء)، و(حُبلاوي) نسبة إلى (حُبلى)، و(مَلهاوي) نسبة إلى (مَلْهَى)، و(كِساوي) نسبة إلى (كساء)...[73].

ولعل هذا مما هوَّن استساغة شيوع زيادة (الألف والواو) في كثير من ألفاظ النسَب المعاصرة– كما سيأتي– لكنه ليس من باب القياس الخاطئ كما قد يُظَنّ، لأن الرافد الأول (بكراوي) قد شرَع في العربية عقدًا تأسيسيًّا يأذن لأهلها بالتوسع في استعمال هذا النمط من بناء النسَب، فالقياس لا يخترع ألفاظًا– كما ذكرنا– إنما يتوسع في نمط موجود بالفعل حتى وإنْ وُصِمَ بالشذوذ في لحظةٍ ما من عمر اللغة.

وقد شاع هذا الضرب من النسَب بزيادة (الألف والواو) قبل (الياء المشددة) في العربية المعاصرة، ولا سيما المحكية في النسَب فيما سُمِّيَت به الأماكن والأناسي، نحو:

[71] تهذيب اللغة: 127/10، وانظر، لسان العرب، بكر: 472/1.
[72] في أصول اللغة: 98/3.
[73] انظر مثلا: شرح المفصل: 441/3- 447.

المنسوب	المنسوب إليه	المنسوب	المنسوب إليه
مصراوي	مصر	عزباوي	العزبة
جيزاوي	الجيزة[74]	محلاوي	المحلّة (هى مدينة المحلة الكبرى)
بحراوي	بحر (أو "بحريّ" فكأنه نسَبٌ بعد نسَب[75])	زحلاوي	زحلة
نَجْعاويّ	نَجْع (ومنها مدينة نجع حمادي)	عرقاوي	عِرْق
رَفَحاوي	رَفْحَاوي (مدينة رَفَح)	خشباوي	خشبة
صَفْطَاوي	صَفْط (ومنها مدينة صَفْط اللبن)	سبعاوي	سبع
منزلاوي	المنزلة	حملاوي	حمل
كَفْراوي	الكَفْر	سعداوي	سعد
دَنْدَراوي	دَنْدَرة	قَصْراوي	قَصْر
أهلاوي	الأهلي (علَم على نادٍ رياضي)	رَمْلاوي	رَمْل
هنداوي	هند أو الهند	تمراوي	تمر
شمساوي	الشمس (هو نادي الشمس)	نحراوي	نحر
بَدْرَاوي	بَدْر	تيناوي	تِين
جَبَلاوي	جَبَل	مشمشاوي	مشمش
قلعاويّ	قلعة	خلفاوي	خَلَف
عَقَباويّ	العَقَبة (مدينة بالأردن)	زعبلاوي	زَعْبَل (أو أبو زَعْبَل)
فَتْحَاويّ	منظمة (فَتْح)	حِلْماويّ	حلمية الزيتون

[74] يقدح في قوة الاستدلال بهذا المثال ونظائره أنه مختوم بالتاء، إذ تنقلب هاء في الوقف فتختلط بالألف، ومن ثم تنقلب واوًا عند إضافة ياء النسب، وكذا في كل مثال نظير.
[75] وهو رأي ابن مالك كما مر.

وكذا: الغَزَّاويّ واليَنْبعاوي والشّنَّاوي والنّمراوي والسمحاوي والزيداوي والقرضاوي والفيصلاوي والظلماوي والنصراوي والذَّبْحَاوي والعسلاوي والخرباوي والديناوي والديباوي والسنَّاوي والسلْماوي والسدّاوي والشعراوي والسلّاوي والجدّاوي والطَّبْلاوي والمَنْيَلاوي والسرساوي والعَمَّاوي والشِشْتَاوي والعشماوي والغمراوي والزّهْراوي والنحراوي... وغير هذا مما لا يحصى.

وزيادة (الألف والواو) للمباينة والفرق بارزٌ في أمثلة كثيرة، كـ(فتحاويّ) نسبة إلى (منظمة فتح) تمييزًا لها عن كلمة (فَتْحِيّ) المنسوبة إلى (فَتْح). وكذا (قمحاويّ) نسبة إلى (منيا القمح) تمييزًا لها عن (قَمْحيّ) المنسوب إلى (قَمْح) أو الدلالة على لونه.

وأمْن اللبس جعل المتكلمين يراوحون بين الصدر والعجز في إلحاق (الياء المشددة)، فنسب إلى العَجُز في (منيا القمح) (قمحاويّ)، فتجنَّبُوا النسب إلى الصدر (منياويّ) لئلا تشتبه بالمنسوب إلى (المنيَا)، كما نسبوا إلى الصدر في (حلمية الزيتون): (حِلْماويّ)، لأنَّ النسب إلى (الزيتون) مُلْبِسٌ.

وللحذف نصيب في هذا اللون من النسَب، طلبًا للخفة، مثل:

المنسوب	المنسوب إليه
حَمْسَاوي	حركة (حَمَاس) الفلسطينية
زملكاوي	نادي الزمالك
عَزَّاوي	قرية العزيزية[76]

وظاهرٌ أن النسَب بـ(الألف والواو) المقحمتين أدْخَلُ في التعبير عن الماديات والمحسوسات باعتبار النسْبة إلى الأماكن والأناسي والدوابّ وما لا روح فيه. ورغم استيلاء العلمية على كثير من ألفاظها، فإن أطيافها الدلالية لا تخلو من عصبية النزعة وجموح الهوى وحِدَّة التحيُّز واندفاعة التمذهب، كما في: حَمْسَاوي وأهلاوي وزملكاوي ومصراوي وشمساوي وفتحاوي... وكلها أغرقُ في دلالة النسب، فكأنها نسبٌ بعد نسَب.

[76] هى البلدة التي ينتمي إليها الباحث، وهو استعمال شائع في المحكية.

وَتَقْوَى هذه الأطيافُ الدلالية إذا لحقت بها (التاء) التى تنقلها للدلالة على الفئة أو الجماعة أو الطائفة التى تدين بمعتقد أو مذهب أو ولاء، وهي– في كل ذلك– لا تبرأ من غلالات الهوى ونزعاته، على نحو ما نرى في مثل:

- **مصراوية:** تدل على الاتصاف بنزعة الانتماء إلى فئة لها أفكارها ومعتقداتها وعاداتها التي يُتَحَيَّز لها فتفترق بها عن سائر الفئات.

ولا يبرأ مفرده (مصراوي) من أثر هذه النزعة وذلك الانحياز الذي يمنحه طابعًا خاصًّا سواء أطلقناه على الفرد المنحاز إلى فئته أو جعلناه علَمًا على موقع رَقْمِيّ (وهو معروف) يشي بتحيزاته ونزعته (المصراوية) التى لا تخلو من انتماء وفخر.

وهو بذلك مباين لقرينه المنسوب بالياء المشدَّدة فقط، نعني (مصريّ)، فلا يغني أحدهما عن الآخر.

- **أهلاوية وزملكاوية وإسماعلاوية وشمساوية...** وكلها منسوبة إلى أندية رياضية معروفة، وهي أدخل ما تكون في هوى الانحياز والتعصب الذي لا يعرف حدًّا، فضلا عما تتضمنه من سمات خاصة تطبع به فئتها على مستوى الشعار واللون والهتاف والزي... على ما هو معروف عن جماهير كرة القدم.

فما أليقها بهذه البنية! وما كان أحرى (الألف والواو) أن تقتحم بنيتها!

ومن سياقاتها في العربية المعاصرة:

– "تباينت الآراء بين الأهلاويَّة والزملكاويَّة بمحافظة أسيوط حول نتيجة مباراة الأهلي والزمالك التي ستقام اليوم فى إطار مباراة السوبر المصري لكرة القدم لموسم 2018 /2019، والتي ستقام اليوم الخميس باستاد الشيخ محمد بن زايد بالعاصمة الإماراتية"[77].

[77] اليوم السابع، تاريخ النشر: 2020/2/1م، متاح على:
https://www.youm7.com/story/2020/2/20/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B2-2-1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B2-2-%D8%B5%D9%81%D8%B1-%D8%B5%D9%88%D8%B1/4639683، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م

- "لليوم الثاني.. الشمساويَّة يتوافدون لتجديد عضوية النادي"[78].

- **الدّرْبَاويَّة:** "مصطلح شعبي يشير إلى ظاهرة سلوكية غير مرغوبة ظهرت في أوساط الشباب، خاصة المراهقين منهم، ولا يُعْرَف مكان نشأتها الحقيقي، لكنها انتشرت في دول الخليج بدءًا من الكويت والسعودية وبقية الدول المجاورة لهما. ويشبه مصطلح (الدرباوي) في معناه الكامن مصطلحًا يستخدم في كل من نيوزيلندا واستراليا وهو (hoon)[79]، والذي يعني شخصًا متهورًا في القيادة وذا تصرفات عنيفة، كما يشبه الشخص الدرباوي في مظهره الخارجي الشخصية البوهيمية، غير أن ظاهرة (الدرباوية) تمتد إلى المعتقدات والأفكار، وتنعكس بالتالي على السلوكيات، وتتكون (الدرباويَّة) أساسًا من مجموعة شباب تجمعهم صفات مشتركة، أهمها السن والميول والرغبات والجنوح والمغامرة والاستعداد لممارسة أي تصرف خارج عن المألوف والسائد الاجتماعي، ويهدد المجتمع الأمني، ويتحدى التشريعات الدينية"[80].

وفي بحث بعنوان (الصورة الذهنية للدرباويَّة لدى الشباب السعودي)، يقول الدكتور كاظم الغول: "وبالانتقال إلى سلوك (الدرباويَّة) فهو مشكلة سلوكية غير مرغوبة تؤرق

---

[78] موقع نادي الشمس الرياضي، تاريخ النشر: 2020/6/16م، متاح على:
http://www.alshams.club/2020/06/%D9%84%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%8A%D8%AA%D9%88%D8%A7%D9%81%D8%AF%D9%88%D9%86-%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%AF/
تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م

[79] هو لفظ في الدارجة النيوزيلاندية والاسترالية، ويُطلق على السائق العنيف الذي يرتكب أفعالا عدوانية ومخالفات قانونية بقصد لفت الانتباه. وقد استعملت الكلمة أولا في العامية، غير أنها في عام 2000م أُدْرِجَت في تشريع قانوني خاص، انظر في ذلك الروابط الآتية: تاريخ النشر: 2018/10/11م، متاح على:
https://www.police.wa.gov.au/Traffic/Cameras/Speed/Hoon-driving
تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.
https://www.definitions.net/definition/HOON
تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

[80] ويكيبيديا، تاريخ النشر: 2018/10/11م، متاح على:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9
تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

المجتمع, وقد ذهب البعض في القول بأنه انحراف سلوكي خطير, لذا يرى الكثيرون بأن من ينتسب (للدرباوية) قد يصدر عنه الكثير من المخاطر والأزمات الأمنية والاجتماعية... وبطبيعة الحال المراهق سريع التأثر بالبطل المزعوم (الدرباويّ) الذي يقوم بالاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة..."[81].

وتحفل جريدة (عكاظ) السعودية بأخبار عن هذه الظاهرة، منها مثلا:

-"(الدرباويَّة) خنجر في خاصرة المجتمع"[82].

- "حملة أمنية تطيح بـ(درباويَّة) أبها"[83].

- "مرور بيشة يوقع بـ(11 درباويًّا)" [84].

وقد تأتي بنية النسَب بـ(الألف والواو) دالة على فصيلة نباتية ذات سمات خاصة، مثل:

- "**القَمْرَاويَّة:** هي قبيلة من النباتات تتبع الفصيلة البذور القمرية من رتبة الحوذانيات"[85].

- "القبيلة **القَمْحَاويَّة:** قبيلة نباتية مهمة تتبع الفصيلة النجيلية من رتبة القبئيات"[86].

لم يرد مصطلحا (القَمْرَاويَّة) و(القَمْحَاويَّة) في مصادر علميّة مُعْتَبَرة، بينما ورد في المعجم الوسيط المنسوب (قمحيّ) فقط للدلالة على اللون، "(القمحيّ): ما كان لونه لون

---

[81] مجلة الآداب، م27، ع2، جامعة الملك سعود: 183.

[82] عكاظ، تاريخ النشر: 2013/1/3م، متاح على: https://www.okaz.com.sa/article/791293 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م. ومما جاء في الرابط نفسه تأصيلا لاشتقاق (الدرباوية): "نشأ مصطلح الدرباوية من كلمة الدرب، وهو الطريق الذي يسير عليه الإنسان، وأصبحت تسير عليه السيارات الآن بمختلف ألوانها وأشكالها وأحجامها...".

[83] عكاظ، تاريخ النشر: 2017/3/12م، متاح على: https://www.okaz.com.sa/local/na/1532746 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

[84] عكاظ، تاريخ النشر: 2019/11/4م، متاح على: https://www.okaz.com.sa/local/na/1754569 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

[85] ويكيبيديا، تاريخ النشر: 2020/5/6م، متاح على: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

[86] ويكيبيديا، تاريخ النشر: 2019/12/12، متاح على: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

القمح. (محدثة)"[87]، وهذا يسوّغ استعمال (قمحاوية) ونظائرها بزيادة (الألف والواو) للدلالة على السلالة أو الفصيلة للمبايَنة والفرق.

وعلى غلبتها في الأعلام والصفات الغالبة لم تعدم العربية المعاصرة أمثلة دالة على الوصف، مثل:

- (سِمَّاوي: بكسر السين) نسبة إلى (سمّ)[88] إشارة إلى الشخص الحقود الحسود، وفيها ما فيها من غلبة الغل والحقد عليه حتى يبدو ذلك فيه نزعة ومذهبًا، وكذا كلمتا (غِلَّاوي وأصفراوي).
- (بِرّاويّ: بكسر الباء وتشديد الراء في المحكية والأصل الفتح) إشارة لمن ينفر من الناس ولا يصل ذويه، فهو مُسْتَوْحِش.

وعلى هذا يصحّ النسب الشائع (بيضاويّ) نسبة إلى (بيضة) في نحو (المكتب البيضاويّ) و(الكبسولة البيضاوية) بزيادة (الألف والواو) قبل (ياء النسب)، فليس ذاك- على هذا التوجيه- من أخطاء النسب[89].

في (الألف والواو)- إذن- اندفاعة النزعة وجموح الهوى وعصبية المذهب وتحيزات الفئة واختصاص السلالة، فلا مجال للاستغناء عنها بمجرد زيادة (ياء النسَب) تحت دعوى القياس على الأصل، ذلك أنَّ مثالنا التاريخي والتأسيسي (بكراوي) قد شرع لنا منهاجًا قويمًا لاستيلاد نظائره المعاصرة بحمولات دلالية تتجاوز حد المفارقة والمباينة.

وقد كانت العربية المحكية أكثر تمثلا لهذا الشاذ النادر من مستوى الفصحى، ربما لأنها- اليوم- لغة الحياة والممارسة التلقائية، وإن الشيوع فيها الذي استرفد من العربية التراثية بعض كنزها لجديرٌ أن يؤسس لقاعدة قياسية في النسَب بزيادة (الألف والواو) قبل (الياء المشددة) للدلالة على النزعة المائجة بحمولات الهوى وتحيزاته.

---

[87] المعجم الوسيط، قمح: 758.

[88] مثلثة السين، انظر، المعجم الوسيط، سمم: 451.

[89] رأى الدكتور أحمد مختار عمر أن من أخطاء النسب "قولهم: (المكتب البيضاوي) و(هبطت من الطبق الطائر كبسولة بيضاوية الشكل) واللفظ منسوب إلى (بيضاء) لا إلى (بيضة). والصواب أن يقال: (المكتب البيضيّ) و(كبسولة بيضيَّة الشكل)، وربما كان أقرب إلى طريقة النسب الحديثة زيادة (الواو) لتصبح الكلمة (بيضويّ)" [أخطاء اللغة العربية المعاصرة: 66].

وأقول: ربما لم يطّلع المعاصرون إلى مثال (بكراويّ)، وإنما هدتهم فطرة اللسان إلى هذه البنية الصرفية المزيدة بـ(الألف والواو)، التي يقبلها النظام اللغوي، فتوسعوا في ألفاظها حسب احتياجهم، بينما لم يتوسع القدماء لأن الحاجة لم تدْعهم إلى ذلك.

وفي تناسل هذه الألفاظ موافقةُ اللسانِ للّسان، فحاجة الزمان ألجأت المعاصرين إلى استخراج المكنون من فطرة لسان الأوَّلين دون اطلاع أو قياس على المثال التأسيسيّ الذي لم يُقدَّر له أن يتناسلَ في زمانه.

3. زيادة (الألف والنون) قبل (ياء النسب).

عرفت العربية التراثية زيادة (الألف والنون) وحدهما لوجه النسب في أمثلة قليلة مسموعة، يقول الزمخشري: "(الحَلْبَانة الرَّكْبَانة): الصالحة للحلب والركوب، زيدت الألف والنون في بنائهما على ما هو أصل في بناء مصدرَيْ حَلَب ورَكِب، كما زيدتا على سيف وعَير ورَيع، في قولهم للمرأة الشِّطْبة الممشوقة كأنها سيف: سَيْفانة، وللناقة التي هي في سرعة العَيْر أو في صلابته: عَيْرَانة، وفي لبنها رَيْع، أي: كثرة وبركة: رَيْعَانة، فكأنه قيل فيها: (فَعْلِيَّة) والألف والنون زائدتان لتعطيا معنى النسب"[90].

ويشير ابن منظور إلى أن (الألف والنون) في (رَكْبَانة وحَلْبَانة) "زائدتان للمبالغة ولتعطيا معنى النسب إلى الحلب والركوب"[91]، ولا تعارض بين المبالغة ومعنى النسب، ولا يوجد ما يمنع اجتماعهما معًا. بيد أن النسب هنا أوجه وأمكن في المراد، لذا رأى الزمخشري أن (الألف والنون) زيدتا على أصل بناء المصدر، لتقوم بوظيفة النسب، فقالت العرب (الحَلْبَانة الرَّكْبَانة) زنة (فَعْلَانَة) بدلا من (فَعْلِيَّة)، فاستغنوا بزيادة (الألف والنون) فيهما عن (ياء) النسب.

كأن العربية تدَرَّجت– بهذه التوطئة– لتجلب (الألف والنون) قبل (ياء النسب) للمبالغة أو للفرْق أو لمزيد تخصيص، فكأنه نسب بعد نسب كما مر في زيادة (الألف) أو (الواو) أو (الألف والواو) معًا قبل ياء النسب.

---

[90] الفائق في غريب الحديث: 439/2.
[91] لسان العرب، ركب: 296/5.

ومن زيادة (الألف والنون) قبل (ياء النسب) "قولهم في الطويل الجُمَّة: جُمَّانِيّ، وفي الطويل اللحية: اللِّحْيَانِيّ، وفي الغليط الرقبة: الرَّقَبَانِيّ"[92]، "زادوا (الألف والنون) للمبالغة دلالة على هذا المعنى، وهو خارج عن قياس النسبة، ولذلك لا يستعمل إلا فيما استعملته العرب، ولو نسبتَ إلى نفس الرقبة لم تقل إلا رَقْبِيّ"[93].

كما تزاد (الألف والنون) قبل (ياء النسب) للفرق، ومن ذلك:

– الأَنَسَانيّ، جاء في (تاج العروس): "وأما أبو هاشم كثيرُ بنُ عَبْد الله الأَيْليُّ، الأَنَسانيّ فمُحرّكةٌ، نُسِبَ إلى قريةِ أَنَس بن مالك، وروى عنه، وهو أصلُ الضُّعَفاء، قال الرُّشاطيُّ: وإنّما قيل له كذا ليُفْرق بينه وبين المَنسوبِ إلى أَنَس. وأبو عامر الأَنَسيّ، محرّكة، شيخٌ للمالينيّ. وأبو خالدٍ موسى بنُ أحمد الأَنَسيُّ ثمّ الإسْماعيليُّ، نُسِبَ إلى جدّه أَنَس بن مالك..."[94]، فزيادة (الألف والنون) هنا لبيان "الفرق بين المنسوب إلى أَنَس بن مالك والمنسوب إلى بلدة أَنَس رضي الله عنه"[95].

– بَحْرَانِيّ، جاء في (المُغرب): "وأما دم بَحْرَانِيّ وهو الشديد الحمرة فمنسوب إلى بحر الرَّحم، وهو عمقها وهذا من تغييرات النسب"[96]، وينضاف إلى المبالغة بيان الفرق بين المنسوب إلى (البحر)، والمنسوب إلى (بحر الرحم).

– رُوحَانِيّ، جاء في (تهذيب اللغة): "وقال النضر: الرُّوحانِيُّون أَرْوَاحٌ ليست لها أَجْسَامٌ، هكذا يقال. قال: ولا يقال لشيءٍ من الخَلْقِ رُوحَانِيّ إلا للأَرْواح التي لا أَجْسَادَ لها، مثلُ الملائِكَةِ والْجِن وما أَشْبَهَهُما فأمّا ذَواتُ الأَجْسادِ فلا يقال لهم رُوحانيّون"[97]، وظاهرٌ أن (الألف والنون) قد زيدتا للفرق عمَّا نُسب إلى الروح التي بمعنى "النفس التي يحيا بها البدن"[98].

---

[92] الكتاب: 380/3.
[93] شرح المفصل: 479/3.
[94] تاج العروس، أنس: 422/15.
[95] المنسوبات السماعية: 27.
[96] المغرب في ترتيب المعرب: 57/1.
[97] تهذيب اللغة: 146/5.
[98] العين، روح: 291/3، وانظر، المنسوبات السماعية: 66.

ولا شك أن بين دلالة المبالغة والفرق في زيادة (الألف والنون) رحمًا، وفي كليهما مزيد تخصيص في النسب، وفي نصّ دالٍّ على هذه الفكرة يقول الأزهري: "الرّبّانيون: الأُلُوف. والرّبّانيّون: العُلَماء. وقال سيبويه: زادوا ألفاً ونُوناً في (الرّبّاني) إذا أرادوا تَخْصيصاً بِعِلْم الرّبّ دون غَيْره، كأنّ معناه: صاحبُ العِلْم بالرّبّ دون غَيره من العُلوم.

قال: وهذا كما قالوا: رَجُل شَعْرانيّ، ولِحْيانيّ، ورَقَبانيّ، إذا خُصّ بكَثرة الشّعر، وطُول اللِّحْية، وغِلظ الرّقبة"[99].

كما شاع في لغة العلماء بعد عصور الاحتجاج ألفاظ من نحو (جسماني وجسداني ونفساني وجِصّاني)، ولم يَرِدْ أحدُ تلك الألفاظ في شاهد من شواهد اللغة في عصر الاحتجاج[100]، فسيرورة التوليد على نسق ما فَطَرَته العربية البكر لم ينقطع[101].

وقد نزعت العربية المعاصرة إلى زيادة (الألف والنون) قبل (ياء النسب)[102]، كما في: (عقلانيّ، وعِلمانيّ، وشكلانيّ، وفَرْدانيّ، وعصرانيّ، وجوهرانيّ، وشخصاني، وتاريخانيّ، وأنانيّ...) تنحو إلى التعبير عن المفهومات والمعنويات والمجردات[103]، وإذا كانت زيادة (الألف والنون) قبل الياء المشددة في العربية التراثية قد جنحت في الأعم الأغلب إلى الدلالة على المبالغة والفَرْق والتخصيص، نحو (رقبانيّ، وأنَسانيّ، ورَبّانيّ،...)، فإنّ العربية المعاصرة انتقلت بها إلى دلالة مفاهيمية أوغل في التجريد وأخلص للدلالة على

---

[99] تهذيب اللغة: 129/15. لم يرد في الكتاب لفظ (الربانيون)، وما ذكره الأزهري من باب القياس على ما أورده سيبويه، حيث يقول: "(هذا باب ما يصير إذا كان علمًا في الإضافة على غير طريقته وإن كان في الإضافة قبل أن يكون علماً على غير طريقة ما هو على بنائه) فمن ذلك قولهم في الطويل الجمة: جمانيٌّ، وفي الطويل اللحية: اللحياني، وفي الغليظ الرقبة: الرقباني، فإن سميت برقبة أو جُمَّة أو لِحية قلت :رَقَبيٌّ ولِحييٌّ وجُمّيٌّ ولحويٌّ، وذلك لأن المعنى قد تحول، إنما أردت حيث قلت: جُمَّانيٌّ الطويل الجمة وحيث قلت: اللحياني الطويل اللحية، فلمَّا لم تَعن ذلك أجري مجرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى" [الكتاب: 380/3]، وفي نص سيبويه تمييزٌ بين النسب للعَلَم، والنسب لضرب من المبالغة في المعنى بزيادة (الألف والنون) في الكلمات نفسها، وذا نوع تخصيص أيضا للكلمات المزيدة بالألف والنون، وهو ما نبَّه عليه الأزهري.

[100] انظر، المنسوبات السماعية: 42.

[101] وقد اشتهر في المحكية الوصف (أسمرانيّ، شَرَّاني، الأولاني) بزيادة الألف والنون.

[102] قد عالج الدكتور محمد حسن عبد العزيز كثيرًا من ألفاظ هذه الظاهرة، ودورها في إغناء العربية بمقابلات لكثير من المصطلحات الأجنبية في كتابه (في تطور اللغة العربية: 51- 55)، وانظر أيضًا: العربية الصحيحة: 125- 127.

[103] بخلاف ما تدل عليه (الألف والواو) المقحمتين قبل (ياء النسب) من اتصال وثيق بالماديات على نحو ما مر ذكره.

النظرية والاتجاه، ولا سيما حين تلْحق بها (تاء النقل)، نحو: عقلانية، وعلمانية، وشكلانية، وأنانيَّة، و... وما هو بهذي السبيل.

كذلك لا تخلو الاستعمالات المعاصرة من استعمال (الألف والنون) للفرق والمبالغة فضلا عن الدلالة على النزعة والاتجاه، كما في كلمة (الجِنسانيَّة) نسبة إلى (الجنس)، والأصل في النسب (الجنسيَّة)، وهي "مستعملة في الدلالة على الهوية الوطنية... فكانت صيغة (جنسانية) بديلا عن الصيغة القياسية (جنسيَّة) للدلالة على معنى جديد، هو: الميل إلى الجنس وإثارة الشهوات المرتبطة بنوعَيْ الذكر والأنثى"[104]، وهو ما أقرَّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والسبعين[105].

ومن سياقات استعمالاتها: الوصفيَّة والاسميَّة في العربية المعاصرة:

- "وهي القضية نفسها التي تصدَّى لها المفكرون العِلمانيّون في مطلع عصر النهضة العربية"[106].
- "ففي المقام الأول يميل التوجه الشكلانيّ للبنيوية والتفكيكية إلى استبعاد ما يتصل بالممارسات السياسية ويركز اهتمامه على اللغة والنص"[107].
- "وغدا الإرهاب العقلانيّ ممارسة قانونيَّة ومنظمة على مدى فترات زمنية طويلة"[108].
- "وقد أدت هذه العوامل مجتمعة على مدى العقدين الأخيرين إلى الانهيار التلقائي لعزلة الحياة الريفية، بَيْدَ أنها لم تنجح في ردم الهوة الاجتماعية والنفسانيَّة التي تفصل المدينة عن الريف"[109].
- "تم إطلاق مسمى (الوزارات) على (النظارات) فتحولت نظارة الحقانية منذ بدء نشأتها رسميًّا فى 1878م إلى وزارة العدل فى عام 1914 وحتى الآن"[110].

---

[104] كتاب الألفاظ والأساليب: 456/4.
[105] المرجع السابق: 456/4.
[106] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 161.
[107] المرجع السابق: 142.
[108] المرجع السابق: 91.
[109] المرجع السابق: 114.
[110] الرابط، تاريخ النشر: 2016م، متاح على: http://www.jp.gov.eg/ar/page1.aspx ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

- "هناك تبلور لحالة ملموسة من التدين الفردانيّ، يبدو أقل نضاليَّة وينتمي إلى العالم المعاصر"[111].
- "... نرى تلك الحالة تنسحب كذلك على الاستشراق التاريخي المقارن والاستشراق التاريخانيّ اللذين ينتهيان... إلى تفتيت موضوعهما أو إلى إحالته على متحف النسبيات المتجاوزة"[112].
- "يتخذ هذا التخلُّف أشكالا عدة تتميز عن بعضها بعضًا بصفتينِ مترابطتينِ: اللاعقلانية والعجز"[113].
- "المنهج الفيلولوجي عند رينان في كتابه (مستقبل العلم عنوان للفكر الحديث)، أي: العقلانية والنقد والليبرالية... وقد تبدَّى في فورة الحماس الوضعانيّ والعِلموي السائد في القرن التاسع عشر كمنهج مخبري يُقوِّض الفكر الغيبي"[114].
- "ويمكن لـ(بِيكر) أنْ يعتبر التاريخانيَّة الاستشراقية بالية والموضوعيَّة كوهم ليس غير"[115]– "أما لدى التاريخانيين، بخلاف (فيخته)، فكل حقبة من التاريخ تُطَابَق بثقافة عيانيَّة، ولا تكشف الإنسانية عن نفسها كليًّا إلا خلال مجرى التاريخ بأكمله"[116].
- "وفي تعارض مع هذه المقاربة (الترتيبانيَّة) تأتي مقاربة ثانية (تحقيقانيَّة) عند عدد من منظِّري فكر التنوير، الذين استعملوا مقاربات مقارنة تعتني بما يتحقق فعلا في المجتمعات، نتيجة وجود مؤسسات بعينها"[117]– "بينما تذهب التصوُّرات التحقيقانيَّة إلى أن المطلوب هو الوصول إلى عالم أكثر عدالة"[118].
- "ويبين (سين) أن المقاربة المتعالية تعاني من عدة مشاكل أهمها: مشكل التنفيذانية feasibility أو الجدوى"[119].

---

[111] إسلام السوق: 38.
[112] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 104، 105.
[113] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 14.
[114] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 82.
[115] المرجع السابق: 18، 19.
[116] مقالات في الفردانية: 173.
[117] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 61، 62.
[118] المرجع السابق: 64.
[119] المرجع السابق: 62.

- "لقد تزامن الاهتمام المثليّ الغربيّ بأوجه الجنسانيَّة في البلدان العربيّة والإسلاميَّة"[120].-"يتتبع (اشتهاء العرب) تاريخ بزوغ مفاهيم الثقافة والحضارة في العالم العربي، وهو بالتأكيد ليس تاريخًا لـ(الجنسانيَّة العربية)"[121]- "نجح مطاع صفدي وهو أحد مترجمي كتاب فوكو (تاريخ الجنسانيَّة) في نحت كلمة أكثر تحديدًا وأقل إثارة للارتباك، ومع ذلك فالكلمة الجديدة (جنسانيَّة) لا يفهمها سوى القلائل حتى من بين المتعلمين"[122].
- "الفردانيَّة هي القيمة الأساسية للمجتمعات الحديثة"[123]- "يرى هردر في ذلك لعبة الفردانيَّات الثقافيَّة المتضادة التي تؤلف كل واحدة منها طائفة خصوصية، شعب"[124]- "ويقول إن لفظة أنا هي لسان فردانيَّة الله في الأفراد الذي تحير منه العالِم والمتعلم"[125].
- "فالحديث عن الاسمية من جهة، وعن الوضعية وعن الذاتانيَّة القانونيَّة من جهة أخرى يعني ببساطة تسجيل ولادة الفرد في الفلسفة وفي الحق"[126].

وتبدو العربية هنا أَمْثل تدرُّجًا وأقوى تسلسلا في استعمال (الألف والنون) المزيدتين قبل (ياء النسب)، إذ لم نجد فيها هذا الانقطاع الذي باغتنا فيما نُسِجَ على منوال (حانويّ) و(بكراويّ) في العربية المعاصرة، ولعل هذا يفسر تلقِّي بعض العلماء المعاصرين لزيادة (الألف والنون) بقبول حَسَن مقارنة بزيادة (الواو)[127] أو (الألف والواو) قبل (ياء النسب).

المسار الثاني: من الافتراض إلى التحقُّق.

[الإبقاء على "تاء التأنيث والعِوض" قبل "ياء النسب"]

---

[120] اشتهاء العرب: 227.
[121] المرجع السابق: 82.
[122] المرجع السابق: 238، 239.
[123] مقالات في الفردانيّة: 33.
[124] المرجع السابق: 161.
[125] السر الأعظم: 116.
[126] مقالات في الفردانيّة: 102.
[127] يقول الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه [درس تاريخي في العربية المحكية: 260]: "ولي هنا أن أضيف مصادر صناعية خرج فيها المعاصرون على القياس المعروف فزادوا فيها واوًا، فقالوا: الإرادويّة، والحداثوية، والعِلْموية، والنهضويَّة،... وغيرها. والمعاصرون لا يبالون بقواعد العربية في الأبنية، وهم يحسبون أنَّ العصر يقتضي التجديد بالخروج عن الثوابت. وقالوا: البنيوية، وصوابها (البِنَويَّة) كما تنسب إلى (لِحْيَة) فتقول: (لِحَويّ)".

يقرّر أهل اللغة والنحو أنَّ حذف (تاء التأنيث) قد كثر عن العرب واطرد[128]، "حتى صار قياسًا، يُسمع ما قالوه، ويحمل عليه نظائره، فإذا نسبتَ إلى اسم فى آخره تاء التأنيث، حذفتَها، لا يجوز غير ذلك، فتقول في النسب إلى (البصرة): (بصريّ)، وإلى (مكة) (مكيّ)، وإلى (الكوفة): (كوفيّ)، وإلى (فاطمة): (فاطميّ)"[129].

ويسري هذا الحكم على (تاء العِوض) فالنسب "إلى (بنت) و(أخت) كالنسب إلى مذكريها، فيقال في المؤنثين: (بنوي) و(أخوي) كما في المذكرين"[130]، وكذا الثنائي المختوم بالتاء نحو (ذات) يقال في النسب إليه: (ذوّيّ) بتشديد الواو أو (ذوويّ) كـ(عصوي)[131].

واللبس حاضرٌ في نحو (بنويّ) و(أخويّ) و(ذوويّ)، إذ يجوز أن يكون (المنسوب إليه): (بنت أو ابنة أو ابن)، و(أخت وأخ)، و(ذو أو ذات) على الترتيب. وثمة رأيٌ قديم يجيز النسب إلى (بنت وأخت) بالإبقاء على التاء، جاء في (شرح المفصل): "ويونس يقول: (بنتيّ) و(أختيّ)، ويجري (التاء) مجرى الأصل"[132].

وهو رأي أو افتراض له وجاهته وقوته ويمهد السبيل لإجراء (التاء) مجرى الأصل في كلمة (ذات) وذلك إذا جُعلت "اسمًا مستقلا فيعبر بها عن الأجسام فيقال: ذات الشيء، بمعنى: حقيقته وماهيته"[133]، فهذا انتقال بالكلمة من معنى الوصفية (صاحبة) إلى معنى الاسمية، نحو: **(عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ١١٩)** [آل عمران: 119]، والمعنى: عليم بنفس الصدور، أي: ببواطنها وخفيّاتها، وقد صار استعمالها بمعنى نفس الشيء عُرفًا مشهورًا، حتى قال الناس: ذاتٌ متميزة، وذاتٌ محدثة، ونسبوا إليها على لفظها من غير تغيير فقالوا: عيبٌ ذاتيٌّ، بمعنى جِبِلّي"[134].

---

[128] انظر، شرح المفصل: 442/3.
[129] المرجع السابق: 442/3.
[130] شرح الكافية الشافية: 1955/4.
[131] انظر، لسان العرب، ذوو: 5/ 12، 13.
[132] شرح المفصل: 468/3، وانظر، شرح الكافية الشافية: 1955/4، والكتاب: 360/3، 361.
[133] المصباح المنير، ذوي: 177.
[134] المرجع السابق، ذوي: 177، 178.

كما ورد استعمالها عفوا في المصباح المنير، قال الفيومي: "... كما يقال: طبيعي، أي: ذاتي: منفعلٌ عن تدبير الجبلَّة في البدن بصنع بارئها"[135].

وقد شاع استعمالها كثيرًا في العربية المعاصرة على هذا الوجه (الذاتي/ الذاتيّة)، كما شاع استعمال (الذاتيّة) في مقابل (الموضوعية)، كذا مفهوم (السيرة الذاتيَّة) و(الترجمة الذاتيَّة)، ورسخ هذا الاستعمال حتى أُقْحِمَ فيه (الواو) قبل (الياء المشددة) للفرق ولمزيد تخصيص في حقل (علم النفس) فصارت (الذاتويَّة)[136] عَلَمًا على مرض (التوحد).

فلَمَّا عوملت (التاء) في كلمة (أُخت وبنْت) ثم (ذات) معاملة الأصل عند النسب، كان هذا تدريجًا لنزوع العربية للإبقاء على (تاء التأنيث) كما في (دَوَاتِيّ) نسبة لمن عمل بالدواة، وإن خَطَّأ ذلك الحريري، يقول: "ويقولون لمن يحمل الدواة: دواتيّ بإثبات التاء، وهو من اللحن القبيح والخطأ الصريح"[137]، كما عَدّ الأشموني من اللحن قول العامة "في الخليفة خليفتيّ"[138].

ثمَّ شاع في العربية المعاصرة "كلمات منسوبة مع استبقاء (تاء التأنيث)، وذلك مثل: الحياتيّة والأداتيّة والخَلْوتيَّة"[139]، وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في جلسته التاسعة من الدورة السابعة والثلاثين كلمة (الحياتيّة) نسبة إلى (الحياة) بإبقاء تاء التأنيث[140]، دفعاً للبس في بعض الاستعمالات المعاصرة، نحو:

- مصالح حيويّة – يتمتع بالحيويّة.
- هذه مشكلة حياتيّة – في الأمور الحياتيّة[141]... وغير هذا من الاستعمالات.

---

[135] المرجع السابق، جبل: 84.
[136] سبق تأصيل زيادة (الواو) في العربية التراثية، وتتَبُّع شيوعها في العربية المعاصرة.
[137] درة الغواص: 126.
[138] حاشية الصبان على شرح الأشمونى: 1657/4.
[139] في أصول اللغة: 94/2.
[140] انظر، المرجع السابق: 94/2.
[141] انظر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة: 76.

و"الأول بمعنى: النسبة إلى الحياة، كما في مصطلح الكيمياء الحيوية، أو بمعنى: الشيء الجوهري الذي لابد منه، ويستعمل الوصف الآخر (حياتي) لإفادة معنى النسبة إلى الحياة الاجتماعية، أي: شؤون الحياة اليومية"[142].

ومعلومٌ أن (الحيويّة) هي القياس في النسَب إلى كلمة (حياة)، غير أن نزوع العربية إلى أمن اللبس أولَى بالاتباع، وليس ذا مجافيًا لطبع العربية السَّمْح، ومثل ذلك أظهر من أن يستدل عليه.

ومن سياقات ذلك في العربية المعاصرة:

- "... يبدو أنهم غير قادرين على رؤية ضرورة القيام بعملية الفصل الحيويَّة بين نمط الاقتصاد النفسي والحياتيّ الرافد إليهم من جهة وبين ظرف الإنتاج الثقافي للنظم المعرفيّة التي يستوردونها"[143].
- "ويمكن أن نعثر على (إسلام السوق) في بعض (المنتجات الهُويَّاتِيَّة)، وبعض العادات الحياتيَّة لدى المتدينين من المسلمين"144.
- "ويمكن تحقيق ذلك في أدبيات علم الاجتماع العربي ومعارفه بانتهاج نقد ذاتيّ يتمكن من قياس مدى اعتماد علم الاجتماع هذا على النماذج الغربيّة في صياغة أدبيَّاته ومعارفه، ويكشف في الوقت نفسه عما في هذه النماذج من خاصية تأمل ذاتي"[145]– "التبعيَّة والاستقلال الذاتيّ نظامَا قِيَمٍ وتشكُّل اجتماعيّ"[146].
- "هناك تقريبا نمطان لفهم قضية الهويَّة: 1– فهم ذاتوي لمفهوم الهوية... 2– والفهم الموضوعي لهذه الإشكالية"[147]. ففي (ذاتوي) الإبقاء على (التاء) وإقحام (الواو) في بنية الكلمة المنسوبة.

---

[142] كتاب الألفاظ والأساليب: 387/4.
[143] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 142.
[144] إسلام السوق: 25.
[145] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 135.
[146] المرجع السابق: 62.
[147] الحداثة وما بعد الحداثة: 200.

- "ما هي إجمالًا الصورُ المِرْآتيَّة التي كوَّنها الاستشراق بشقيه التقليدي والمجدد عن الشرق والإسلام والإنسان العربي؟"[148].
- "ومن الطبيعي أن يرفض ذوو الاتجاه الأداتيّ النفعي ربط هذه الفكرة بأي أساس عقلانيّ"[149]– "هكذا تُرجم الضبط على أنه مكان يكتنف الذات فيه نظامُ فَرض ومنفعة أداتيَّة"[150].
- "فالحجة الذاتيَّة الملازمة تتعارض والمقاربة الأداتيَّة"[151].
- "من الواضح بشدة أنَّ الأسواق والاقتصادات التي تتحكم في هذه الحركة الهائلة نحو العولمة وتوجهها هي أسواق واقتصادات رأسمالية وليست اشتراكية أو مساواتيَّة أو شعبوية"[152]– "وهذه على وجه التحديد هي العلاقات الجنسية غير المساواتيَّة"[153]– "ويجب أن يقرن البعد الليبراليّ ببُعد مساواتيّ، أي: العناية المتساوية بمصالح كل فرد أو جماعة"[154]– "قبل متابعة بعض أوائل تجليَّات المظهر المساواتيّ للفردانية..."[155]– "يتم التمييز إذن بحق بين نظرية مساواتيَّة (ليبراليَّة) توصي بمساواة مثاليَّة، مساواة الحقوق أو الفرص..."[156]– "... وَلَدَى المساواتيين– الاستثنائيين لكن العازمين– مثل (هِردر وفيخته) الذين يكرهون سيطرة الإنسان على الإنسان تبقى المرتبية فقط المتميزة عن السلطة النى تنتمي إليها عادة"[157].
- "يمزج السرد الخيالي بين الجانبين: العجائبيّ والمحاكاتيّ أو الواقعيّ"[158].
- "... أيْ معركة تعريف الحداثة تعريفًا جديدًا ينعتق من إرث العِلمانيَّة والدولتيَّة الذي ارتبط بعصر الأنوار"[159]– "ومن هنا، فقد تنشأ في حدود الدولة الحديثة ترتيباتٌ اقتصادية أو

[148] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 22.
[149] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 275.
[150] المرجع السابق: 192.
[151] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 75.
[152] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 252.
[153] اشتهاء العرب: 236.
[154] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 53.
[155] مقالات في الفردانية: 118.
[156] المرجع السابق: 119.
[157] المرجع السابق: 173.
[158] الخيال (من الكهف إلى الواقع الافتراضي): 209.
[159] إسلام السوق: 43.

طبقية– دولتيَّة مختلفة"[160]. وفي (الدولتيَّة) نزعة تقديس الدولة وأنظمتها البيروقراطية والتعاقدية، وهذه نزعة مفاهيمية لا تُؤَدَّى بحذف (التاء) في قولنا: الدوليّ.

ولا يفوتنا التنويه إلى أنَّ الإبقاء على (التاء) قبل ياء النسب لا يستوي شيوعُها وزيادة (الواو) أو (الألف والواو) قبل ياء النسب، فالأخيران أدخلُ في طبع العربية ونظامها الصرفي، والحاجة إليهما أدْعَى وأقوى.

المسار الثالث: من التقييد إلى الإطلاق.

يُجْمِعُ النحاة منذ سيبويه على "أنّك إذا أضفت إلى جميع أبداً فإنَّك توقع الإضافة على واحده الذي كسّر عليه؛ ليُفرق بينه إذا كان اسمًا لشيء واحد وبينه إذا لم تُرد به إلّا الجميع. فمن ذلك قول العرب في رجل من القبائل: قَبَلِيٌّ وقَبَلِيّةٌ للمرأة. ومن ذلك أيضاً قولهم في أبناء فارس بَنَويٌّ، وقالوا في الرِّبَاب: رِبِّيٌّ وإنَّما الرِّبَاب جماعٌ وواحده رُبّة، فنُسب إلى الواحد وهو كالطوائف... وكذلك لو أضفتَ إلى المساجد قلت: مسجديٌّ..."[161].

وقيَّدَ النحاةُ النسب إلى الجمع بنقله إلى العلَميَّة التي هي مُسوِّغ هذا الضرب من النسب، يقول سيبويه: "وإذا جاء شيء من هذه الأبنية التي توقع الإضافة على واحدها اسمًا لشيء واحد تركته في الإضافة على حاله، ألا تراهم قالوا في أنمارٍ: أنماريٌّ؛ لأنّ أنمارًا اسم رجل، وقالوا في كلاب: كلابيٌّ... وسألته عن قولهم: مدائنيٌّ، فقال: صار هذا البناء عندهم اسمًا لبلد.

ومن ثم قالت بنو سعدٍ في الأبناء: أبناويٌّ، كأنهم جعلوه اسم الحيّ والحيُّ كالبلد، وهو واحد يقع على الجميع، كما يقع المؤنث على المذكّر... وقالوا في الضِّباب إذا كان، اسم رجل: ضبابيَّ، وفي معافر: معافريٌّ. وهو فيما يزعمون معافر بن مرٍّ، أخو تميم بن مرّ.

وقالوا في الأنصار: أنصاريّ"[162].

---

[160] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 61.
[161] الكتاب: 378/3، وانظر، شرح المفصل: 472/3، وما بعدها.
[162] المرجع السابق: 379/3، 380.

والعربية لا تأبَى النسب إلى الجمع في هذا المذهب أيضًا إذا فُقد المفرد، يقول سيبويه: "وتقول في الإضافة إلى أُناس إنساني وأُناسي لأنه لم يكسر له إنسان وهو أجود القولين. وقال أبو زيد: النسبة إلى محاسن محاسنيّ، لأنه لا واحد له فصار بمنزلة نَفَر... وإن أضفت إلى عباديد، قلت: عباديدي، لأنه ليس له واحد...، فإذا لم يكن له واحد لم تجاوزه حتى تعلم، فهذا أقوى من أن أحدث شيئًا لم تَكَلَّم به العرب"[163].

لكنَّ حاجة العرب للنسب إلى الجمع تجاوزت تقييد النحويين، غير أنَّ جمهور النحاة ومَنْ تابَعَهم اضطروا إلى دفع ما احتمل نسبته إلى الجمع في غير العلَمِيَّة، فجعلوه خارجًا عن القياس في أهون تفسير، وَرَد في (اللسان): "وفي الحديث: أنه مَرَّ وعليه قُشْبانِيَّتان، أي بُرْدَتان خَلَقَان. وقيل: جديدتان. والقَشِيب: من الأضْداد وكأنه منسوب إلى قُشْبان: جَمْع قَشِيب خارِجًا عن القِياس، لأنه نُسِب إلى الجَمْع"[164]، أو صنَّفوه على أنَّه "بناءٌ مستطرفٌ للنسب كالأنبجانيّ"[165]، وفي تفسيرهم الأول إقرارٌ بأنه منسوب إلى لفظ الجمع على غير قياس.

وقد مضت العربية تنسب إلى الجمع إغناءً لحاجة أبنائها، وَرَدَ في المثل: "كن عصاميًّا ولا تكن عظاميًّا"[166]، فنُسِبَ إلى (عِظَام) وهي جمع. وجاء في (الفائق) عن النسب إلى (سُحُول) وهي الثياب البيضاء (سُحوليّ)، يقول الزمخشري: "ورُوِيَ بضم السين على أنه نسبٌ إلى (السُّحول) جمع (سَحْل)، وهو الثوب الأبيض وقيل الثوب من القطن... وكأن الذى سوغ فى هذا الموضع النسبة إلى الجمع أنَّ ما فى قولك لو قلتَ: رجل سُحُولِي إذا كان

---

[163] المرجع السابق: 379/3.

[164] لسان العرب، قشب: 170/11، وانظر، النهاية في غريب الحديث والأثر: 64/4. وجاء في [القاموس المحيط، قشب]: "وقَوْلُ الزَّاعِمِ: إنَّ القُشْبانَ جمعُ قَشيبٍ والقُشْبانِيَّةُ منسوبَةٌ إليه لا مُعَوَّلَ عليه".

[165] المرجع السابق، قشب: 170/11، وانظر، الفائق في غريب الحديث: 197/3.

[166] لسان العرب، عصم: 248/9، وجاء في تفسير المثل: "سُد بشرف نفسك كما ساد عصام ولا تتكل على سؤدد آبائك الذين ماتوا وصاروا عظامًا نخرة" [ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 137].

يبيع السُّحول أو يلبسها كثيرا أو يلابسها فى الجملة مما يمنع من تسويغه[167]، إذ المقصود الإيذان بملابسة الرجل هذا الجنس لا معنى فى الجنس وهو الجمع مفقود هاهنا، لأن الأثواب هى السُّحُول فيما يرجع إلى الثوبية ولكن السُّحُول فيها اختصاص بلون فنسبها إليها لتفاد هذه الخصوصية فيها ويؤذن بأنها منها فى اللون، وهذه مفارقة بينة مرخِّصَة فى ترك الرجوع إلى الواحد"[168].

ولا يخلو النسب إلى الجمع من مفارقةٍ عن المفرد، إذ يَصْدُق على أفراد مطويّة في بنية المنسوب إليه (الجمع)، وهذا أظهر ما يكون فيما دلّ على حِرفة لما فيها من معنى الملابسة التى سوغت هذا النسب كما ذهب الزمخشري، والنسب إلى الجمع في تراثنا كثير إذا كان حِرفة، مثل: القُدُوريّ والمَغَازليّ والجُلُوديّ والأمشاطي والمَحامليّ والجواليقيّ والحُصريّ والخرائطي والأنماطيّ والأكفانيّ وغير ذلك[169].

وقد قالت "العرب (شُعوبِيّ) للقائل بمقالة الشعوبيَّة، و(أصوليّ) للعالم بالأصول، و(أخباريّ) للعالم بالأخبار كالمسعوديّ، فهم لم يقولوا (رجل شَعبيّ) بمعنى شُعوبيّ ولا (أَصْلِيّ) بمعنى أُصوليّ، ولا (خبريّ) بمعنى أخباريّ، فالنسبة إلى الجمع واجبة إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعي. أفلا ترى أن الأمير عبيد الله بن عبدالله الطاهري صاحب ابن المعتز سمَّى رسالة له (السياسة المُلوكية) ولم يقل (المَلكيَّة) وقال قبله شيخ الكُتَّاب الفصحاء أبو عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان (إنَّ سَهَرَه بالليل ونومه بالنهار خَصلة مُلوكية)"[170]، وقال الجاحظ: "ثم رأيتهم منذ سُنيَّاتٍ، وما يَرْوِي عندهم نسيب الأعراب إلا حَدَثُ السنّ قد ابتدأ في طلب الشعر أو فِتْيَانِيٍّ متغزّل"[171]، وكذا كتاب ابن جني (التصريف الملوكيّ)، ووَرَدَ في مصنفات أهل العلم: (التذاكريّ) لبائع التذاكر، و(الرسائليّ) لحامل الرسائل[172]، وكذا ما سُمِّي في تراثنا بـ(الرسائل الإخوانيَّة).

---

[167] لعل المعنى المراد: مما يمنع من تسويغه افتقاد هذه الملابسة، وإلا فقد صرَّح الزمخشري بأن الملابسة رخصة بيّنة في النسب إلى الجمع بعد ذلك.
[168] الفائق في غريب الحديث: 159/2.
[169] انظر، معجم ودراسة في العربية المعاصرة: 148، 149.
[170] قل ولا تقل: 60.
[171] البيان والتبيين: 23/4.
[172] انظر، معجم ودراسة في العربية المعاصرة: 149، 150.

وجاء في (فقه اللغة للثعالبي): "... والزَّوْد لغة صبيانيّة في السَّدْو"[173]. كما نجد "القفطي في (إخبار الحكماء) يقول: (روفس حكيم طبائعيٌّ خبير بصناعة الطب في وقته)[174]، ومن هذا ما قالوا لآسي الجراحات (الجرائحيّ والجِرَاحِيّ) والأول أشهر"[175].

وقد مضت العربية المعاصرة على سُنَّة الإطلاق متجاوزة وصمة (غير المقيس)، ذلك أنَّ تعابيرها قد حفلت بالنسب إلى جمع التكسير، ومن ذلك: أتقن الحُصري صناعته– أجرى مباحثات حول الشئون القُرَويَّة– ألقي عليه درسًا أخلاقيًّا رائعًا– أنقذ المراكبيّ السفينة من الغرق– اتحاد طلابيّ– القوانين الدُّوَليَّة– بحث وثائقيّ– تشريعات أمميّة– تشريعات عماليّة– جماعة أصوليَّة– جمعية نسائيَّة– عمل كنائسيّ– مدن سواحلية– يجب المحافظة على الروابط الأسريَّة– يعمل سروجيًّا[176]– يعمل تُرَبيًّا[177]– أغاني شبابيّة– أصوات ملائكيّة– موسيقا جنائزيّة– اختلافات عقائديَّة– ملابس/ صالون/ حمَّام رِجَاليّ(ة)– ملابس أولاديّ(ة)/ أطفالي(ة)– مجتمع عشائري– جمعيات حقوقيَّة– الزيادة السُّكَّانِيَّة– الطقوس الشعائريَّة... وغير ذلك كثير.

ومن سياقات ذلك في العربية المعاصرة:

–كتاب (العصر المماليكيّ) للدكتور سعيد عاشور، ولا يخفى ما في التسمية من تسليط الضوء على تنازع السلطة بين المماليك، وانقسامهم إلى طوائف متناحرة، وهو ما عبَّر عنه النسب إلى الجمع على غير ما احتمله معنى النسب إلى المفرد (المملوك: المملوكي)، وكذا كتاب (الحركة النسائية[178] الحديثة) لإجلال خليفة.

---

[173] فقه اللغة: 23م.
[174] إخبار العلماء بأخبار الحكماء: 144.
[175] معجم ودراسة في العربية المعاصرة: 150.
[176] انظر، معجم الصواب اللغوي: 894/2.
[177] ورد في [المعجم الوسيط، ترب: 83]: "(التُّربة) التراب...، والقبر (ج) تُرَب. (التُّرَبِيّ) من يقوم على شؤون المقابر".
[178] يقول سيبويه: "وتقول في الإضافة إلى نساء: نسويٌ، لأنه جماع نسوة وليس نسوة بجمع كُسِّر له واحد" [الكتاب: 379/3]. وفي الاستعمال المعاصر إطلاق بعد تقييد كما هو واضح.

- "تحذير أُمَمِيّ من مجاعة كبيرة في سوريا أو نزوح جديد للسكان"[179].
- "أما النقيض الثاني... فهو التفكك الحديث، في ظل رأسمالية الدولة، لِمَا كان في وقتٍ ما بنى عضويَّة واجتماعية وأُسَرِيَّة"[180].
- "ذلك أنّ نموذج الفقه لا يتحكم بالفكر الديني الأصوليّ فحسب، بل إنه يسيطر أيضًا على كافة أشكال الفكر الأبوي المستحدث"[181].
- "ونتيجة ذلك قام النقد الجديد خلال العقدين الأخيرين بصياغة نمط مغاير من الخطاب... لا سيما ما ارتبط منها بالعلوم الاجتماعية والماركسية والبنيوية والدراسات النسائية وما بعد البنيوية"[182].
- "تعتبر العائلة حجر البناء في هيكل المجتمع العشائريّ"[183].
- "إنَّ الأصوليَّة البرجوازية الصغيرة المسلَّحة هي القوة العقائدية المهيمنة داخل المجتمع الأبوي المستحدث"[184].
- "بالنسبة إلى صغار الضباط وحلفائهم العقائديين كان نمط التحديث الرأسمالي مرفوضًا مبدئيًّا"[185].
- "... وحلّ مكانها مُفكرو البرجوازية الصغيرة الذين سيطروا الآن على المشهد في مستوييه، الثقافة العليا والثقافة الجماهيرية"[186].
- "لم تنجُ الطبقة العُمَّاليَّة من آثار التبعية التي لحقت بها خلال تطورها"[187].

---

[179] الرابط، تاريخ النشر: 2020/6/29م، متاح على: https://www.bbc.com/arabic/live/53217644 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.
[180] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 34.
[181] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 132.
[182] المرجع السابق: 127.
[183] المرجع السابق: 49.
[184] المرجع السابق: 166.
[185] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 149.
[186] المرجع السابق: 149.
[187] المرجع السابق: 147.

- "اتفق فيبر مع ماركس في أنَّ الرأسمالية تعمل على تحويل المجتمع الأوروبي (العالم) باتجاه جذري لا رجعة فيه إلا أنه، وبخلاف ماركس، رد هذه القوة التحويلية إلى العقلانيَّة، أي: توفُّر عقل ذرائعيّ يقوم بحسبان العلاقة بين الغايات والسبل إلى تحقيقها"[188].
- "إنَّ الاختصاصيين المحدثين... كثيرا ما يتحولون إلى خبراء في المجتمع القبائلي والعصائبي"[189].
- "... فإن الطلائعيين منهم ينزعون عنه صفة الكلام باسم الغرب"[190].
- "ولكن الجميع يتفق على أنَّ صحوة أخلاقية هي المفتاح للخروج من أزمة ما يسمَّى بقرصنة البرامجيَّات"[191].
- "وكضرورة منطقية، فإن جوهرية هذه الخاصية، نظرًا لكونها علائقيَّة، تكف عن الوجود"[192].
- "ميَّزَ تودورف، إذن بين نوعين كبيرين من الأدب... أحدهما عجائبي والآخر غرائبي"[193]– "ويمكن وضع قصص ألف ليلة وليلة ضمن هذا المتخيَّل العجائبي أيضًا"[194]– "لهذا السبب تثير لدى الشخصية والقارئ ردود فعل شبيهة بما هو موجود في النصوص العجائبية"[195].
- "لا تسعى ذكريات طفولة البساطي... لعرض تلك الوقائع كقصص مجازية أو قيم أخلاقيَّة أو حوادث غرائبية"[196].
- "ففي سياق تلخيص قصص الغِلمانيَّة في (ألف ليلة وليلة) قام ريتشارد بتصنيفها ضمن ثلاث فئات"[197].

---

[188] المرجع السابق: 38.
[189] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 204.
[190] المرجع السابق: 173.
[191] مستقبل الثورة الرقميَّة: 182، 183.
[192] الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي: 73.
[193] الخيال (من الكهف إلى الواقع الافتراضي): 207.
[194] المرجع السابق: 208.
[195] المرجع السابق: 205.
[196] اشتهاء العرب: 505.
[197] المرجع السابق: 111.

- "أعلنت وزارة العدل البحرينية أنها بدأت خطوات قضائية لوقف أنشطة «المجلس الإسلامي العُلَمَائِي» الشيعي وتصفية أمواله وغلق مقره"[198].
- "ومن المفاهيم السائدة العقلانيَّة بمعناها الأوروبي،... وعقليات الشعوب وشخصياتها كما هو الحال في الأحكام العنصرية والرؤية الشُّعُوبِيَّة الغربيَّة"[199]. هكذا ضُخَّ في مصطلح (الشُّعُوبيَّة) دماء جديدة في هذا السياق المعاصر.

ولم تتوقف العربية المعاصرة عند ذلك الحد بل تجاوزته إلى إلحاق (ياء) النسب بالجمع المزيد بـ(الألف والتاء)، ومن ذلك: إجراءات عملياتيَّة– تلقَّى دورة مخابراتيَّة في إحدى الدول الكبرى– ثوب بناتيّ[200]– تم إنشاء شبكة معلوماتيّة[201]– مخطط استخباراتيّ– العمل المؤسساتيّ– التنازعات الجماعاتيَّة– الفلسفة الظاهراتيَّة... ومن أسماء أصحاب الحرف: الساعاتيّ– الآلاتيّ– عالم رياضياتيّ– العَجَلاتيّ... وقد أجاز مجمع اللغة العربية هذا النسب دون حذف (الألف والتاء) فرارًا من اللبس[202].

وإذا لحقت (تاء النقل) جمع التكسير أو الجمع المزيد بـ(الألف والتاء)، تحولت بعض ألفاظهما للدلالة على أحد شيئين:

1. النزعة والاتجاه، كالشعوبيّة قديمًا، والأصوليّة والعشائرية والطوائفية والمؤسساتيّة والمعلوماتيّة والظاهراتيّة والشعاراتيّة والموضوعاتيّة والمعاملاتيَّة والعباداتيَّة والجنائزيّة والنجوميَّة[203]... في المعاصرة.

---

[198] الشرق الأوسط، تاريخ النشر: 2013/9/16م، متاح على: https://aawsat.com/home/article/3511 ، تاريخ الاطلاع: 2020/7/1م.

[199] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 271.

[200] وتقول العامة أيضًا: عنب بناتيّ.

[201] انظر، معجم الصواب اللغوي: 893/2.

[202] انظر، كتاب في أصول اللغة: 90/2، وقد وَرَدَ في العامية ما يشبه ذلك: مسحراتي- كَمَنْجَاتي- قرداتي- مشخصاتي- حكواتي- مكفراتي- مغنواتي- مطبلاتي- مزيكاتي- أُدَبَاتي- مُفكّراتي- مصوراتِي... وغيرها. ويُشتم في (الألف والتاء) نوع مبالغة، ولا يخلو بعضها من نوع حطٍّ وتهوين على وجه المبالغة في ذلك، ولا سيما أن بعض هذه المهن قد وصمها المجتمع أول ظهورها.

[203] جاء في [كتاب الألفاظ والأساليب: 421/4]: "ترى اللجنة إجازة لفظ (النجوميَّة) بمعنى الاشتهار والظهور الواسع".

2. الفئة أو الجماعة فيما دلَّ على ملابسة ما يصلح للحرفة نحو: القُدُوريّة الجُلُوديّة والمحامليَّة والآلاتيَّة والساعاتيّة والحكواتيَّة...

ومن سياقات ذلك– على مستوى الوصفيَّة والاسميَّة– في العربية المعاصرة:

- "الأصوليّة الإسلامية تَعِد بحلول فورية لكافة القضايا التي عجزت عن حلها الحركات العلمانية والأنظمة القائمة"[204].
- "بصفة عامة، يمارس العنف المعلوماتي من خلال ما يمكن أن نطلق عليه (القوى الرمزية اللينة)"[205].
- "شاع استخدام مصطلح (الفجوة الرقميَّة) في خطاب التنمية المعلوماتيَّة"[206].
- "حجة اللبراليين مثل (كيملكا) والجماعاتيين مثل (وولتزر) أن الإحساس بثقافة نابضة في الجذور الثقافية والتقاليد أساسي لازدهار الأفراد"[207].
- "... ترتكز التبعيَّة إلى الخضوع والطاعة وتنهض على أخلاقيَّة السلطة"[208].
- "ويمكن أن نعثر على (إسلام السوق) في بعض (المنتجات الهُويَّاتِيَّة)، وبعض العادات الحياتيَّة لدى المتدينين من المسلمين"[209]– "فما يهم في رسم السياسة اللغوية هو اعتبار الجماعات اللغويَّة جماعات هوية. ومن أجل هذا، يتم تقديم حجج تدعم الاعتراف، لنسمها الحجج الهوياتيَّة"[210]– "والفائدة الثانية للغة غير الهويَّاتيَّة هي الدمقراطية"[211].
- "وما اللفظية و(الشعاراتيَّة) إلا صورتان لشيء واحد تقريبًا. ولذلك يمكن القول إنَّ اعتماد السياسة العربية في كثير من الأحيان على (الشعاراتيَّة) الزائفة أسهم في إيجاد مشكلة اللفظية القهريَّة في التربية العربية"[212].

---

[204] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 160.
[205] مستقبل الثورة الرقميَّة: 151.
[206] الفجوة الرقميَّة: 7.
[207] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 364.
[208] النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي: 62.
[209] إسلام السوق: 25.
[210] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 70.
[211] المرجع السابق: 73.
[212] السلطوية في التربية العربية: 154.

- "إنَّ الاستشراق الإسلاميَّاتيّ... يلتقي كله عند استعمال مناهج متقاربة، تعطي السيادة للتحاليل الثيولوجية والفيلولوجية، وتهدف إلى تثبيت موضوعها ضمن طبائع ووظائف قارَّة منمَّطة"[213].
- فما الذي سيكون عليه شكل الشرع الإسلامي وإدارته من دون مشاركة مؤسساتية فاعلة لطبقة العلماء؟"[214].
- "تركز المؤسساتيَّة المتعالية أولا على المؤسسات الصالحة، وهي غير معنية بالمجتمعات الفعلية التي قد تتولَّد عنها"[215].
- "فإلى جانب النقص في التغطية أو الاحتياط الخاص بالخلفية الوثائقيَّة، هناك نقص حتى في بناء بعض النظرات العملياتيَّة"[216].
- "فمذهب (الظاهراتية) يصر على أن القصد أو العمد أساس كل وعي إنساني"[217].

ولا شك أن العربية في هذا الباب تدرَّجت تدرُّجًا واضحًا في نزوعها إلى شيوع النسب إلى الجمع متجاوزة قيد العَلَميَّة الصريحة إلى إطلاق النسب لجمع التكسير، وصولًا إلى الإبقاء على (الألف والتاء) في الجمع المزيد بهما بقصد الدلالة على (الاشتراك الجمعي) تمييزًا عن النسب إلى المفرد، وهو غرضٌ دلاليٌّ أباح نزوع بنية النسب من حَجْرِ تقييد النحاة إلى سعة الإطلاق، وفاءً بحاجات العصر دون وصم بالشذوذ والخروج على معايير النظام الصرفي.

[213] العرب والإسلام في مرايا الاستشراق: 74، 75.
[214] سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها: 150.
[215] العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط: 61.
[216] مقالات في الفردانيّة: 180.
[217] الاستشراق: 21.

الخاتمة والنتائج

قصد هذا البحث تسليط الضوء على قيمة (الشاذ) أو ما حكم النحاة بـ(شذوذه) في باب النَّسَب بوصفه مخزونًا للعربية تستدعيه وقت الاحتياج، وفي هذا إثبات أنَّ الحُكْم بـ(الشذوذ) ليس مطلقًا، فهو ابن لحظة تاريخية معينة ولا يجوز لهذه اللحظة أن تكون قيدًا على كل أزمنة اللغة، لأنَّ ذَا إجحافٌ بحقها في التوسع وبحق بَنِيهَا في التعبير عن أنفسهم واحتياجاتهم الحيوية.

وقد أثمر البحث بعض النتائج أهمها:

1. توسُّع العربية المعاصرة في إلحاق (الواو) أو (الألف والواو) قبل ياء النسب للمباينة والفرق أو لمزيد تخصيص في دلالته على النزعة أو الاتجاه، فكأنه نسبٌ بعدَ نسب.
2. إلحاق (التاء) بـ(بِنْيَة النسب) المُقْحَم عليها (الواو) أو (الألف والواو) نقلتها للدلالة على النظرية كـ(النسبويَّة)، أو النزعة كـ(الوحدويَّة)، أو الطائفة ذات النزعة كـ(المصراويّة) أو الفصيلة كـ(القَمْحَاويَّة).
3. الإبقاء على (تاء العِوَض أو تاء التأنيث) في بعض المنسوبات كان تحقيقًا لمبدأ (أمْن اللبس) وهو أصل من أصول العربية.
4. كان لكل هذه الاستعمالات عِرْقٌ أصيلٌ في العربية التراثية وإن لم يُكْتَبْ له الشيوع، إذ انحصر في أمثلة محدودة نادرة وقليلة أو من افتراض النحاة، لم يُقَدَّر لها التناسل زمنًا طويلاً، وقد أوهم ذلك بعضَ الباحثين بمجافاة هذه الألفاظ المعاصرة لنظام العربية الصرفي وطبعها الأصيل.
5. تدرّج العربية في زيادة (الواو أو الألف والواو أو الألف والنون) قبل ياء النسب، كان سبيلها للانتقال من الشذوذ إلى الشيوع على تفاوت في مستوى هذا التدرج.
6. كان زيادة (الألف والنون) قبل ياء (النسب) من أمثل ظواهر هذا الباب في تدرُّج العربية عدولًا عن البِنَى المقيسة في النسب مما هَوَّن قبولها واستساغتها.
7. زيادة (أحرف معينة) قبل (الياء المشددة) هو إغراقٌ في دلالة النسب، وإضفاء لدلالات النزعة والهوى والاتجاه... مما لا يغني عنه الاكتفاء بـ(الياء المشددة).

8. خروج بِنيَة النسب إلى لفظ الجمع من قيد العَلَمِيَّة إلى الإطلاق، لم يكن قصرًا على العربية المعاصرة، لكنه شاع فيها شيوعًا يثبت شدة الافتقار إلى هذا الضرْب من النسب.
9. النسبة إلى الجمع واجبة إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعي.
10. يكثر استعمال أبنية النسب المذكورة في بعض مجالات المعرفة الإنسانيَّة المتخصصة، مثل: علم الاجتماع، والفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع السياسي، والمعلوماتيَّة... ولا تخلو- كما هو واضح في بعض نصوصها المعاصرة- من النزعات والميول والأهواء والتمذهب الفكري.
11. قد يبدو في بعض المترجمات والمؤلفات المعاصرة نوع تزيُّد وإسراف في استعمال بعض أبنية النسب المذكورة، لكنَّ هذا لا يقدح في صوابيَّة هذه الأبنية، وإن قدَح في جماليَّة التركيب وصحته الأسلوبية وأثقله بما ينفي عنه شيئًا من فصاحته.
12. (الشذوذ) حُكْمٌ مؤقت، رَهنٌ بزمانه، فإذا توسع أهل اللغة في استعماله بعد ذلك، خرج إلى نطاق الشيوع الذي يُمَهِّد لمشروعية القياس.

إن شيوع الشاذّ في اللغة أو ما حَكَم النحاةُ بشذوذه يَرَدُّ الاعتبار للشاذِّ ويدعونا لإعادة النظر فيه، إذ لا تشيع البِنَى اللغوية الموصوفة بالشذوذ إلا لحاجة المتكلمين إليها، ولا خشية على انسجام النظام اللغويّ من ذلك، إذ ثمةَ مساحةٌ في اللغة موكولة إلى فطرة اللسان وسلطان النظام اللغويّ.

وهذا يثبتُ أنّ العلاقة بين نظام اللغة المستقر وفطرة البيان في اللسان ونزوع اللغة لمساوقة زمان كل جيل، علاقةٌ جدليَّةٌ في تفاعل دائم، تَظهر بعض تجلياته في تغيرات الأبنية الصرفية ومنها بنية النسب خاصة، ومن ثم نحن في حاجة إلى أن نوجه أدواتنا البحثية لرصد مآلات هذا التفاعل، فاللغة لا تعرف الجمود، لأنه نذير البِلَى والموت.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية:

1. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين القفطي، تحقيق الدكتور إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م – 1426هـ.
2. أخطاء اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2006م.
3. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ– 1998م.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، 1385هـ.
5. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
6. تيسيرات لغوية، للدكتور شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1990م.
7. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1965م.
8. حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الفكر، بيروت، 1424هـ – 2003م.
9. الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط4، 1999م.
10. درة الغواص فى أوهام الخواص، للحريري، تحقيق عبد الحفيظ علي القرني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ – 1996م.
11. درس تاريخي في العربية المحكية، للدكتور إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
12. سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ – 1993م.
13. شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، بيروت، د. ت.

14. شرح الرَّضِيّ على كافية ابن الحاجب، تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1421هـ- 2000م.
15. شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق الدكتور عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ت.
16. شرح كتاب سيبويه، للسيرافي، تحقيق أحمد حسن مهدلي وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429هـ - 2008م.
17. شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.
18. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1407هـ - 1987م.
19. العربية الصحيحة، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2015م.
20. الفائق فى غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين، دار الفكر، بيروت، 1414هـ - 1993م.
21. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
22. فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق حَمْدُ طَمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1425هـ- 2004م.
23. فى أصول اللغة، ج2، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط1، 1395هـ - 1975م.
24. في أصول اللغة، ج3 مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط1، 1403هـ- 1983م.
25. في تطور اللغة العربية، للدكتور محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2014م.
26. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1416هـ - 1996م.
27. قل ولا تقل، للدكتور مصطفى جواد، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2001م.

28. كتاب الألفاظ والأساليب (3)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1420هـ – 2000م.
29. كتاب الألفاظ والأساليب (4)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1431هـ – 2010م.
30. كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت.
31. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د. ت.
32. اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000م.
33. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق محمد عبد الوهاب وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1419هـ – 1999م.
34. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ – 2000م.
35. المعجم الوسيط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1426هـ – 2005م.
36. معجم ودراسة في العربية المعاصرة، للدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000م.
37. مغالطات لغوية، للدكتور عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2016م.
38. المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، 1981م.
39. مشكلة البنية، للدكتور زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، 1990م.
40. معجم الصواب اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ– 2008م.
41. المغرب في ترتيب المعرب، لابن المطرّز، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط1، 1979م.
42. المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1964م.

43. المنسوبات السماعية، للدكتور طارق النجار، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.
44. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية. د. ت.
45. همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ - 2001م.

ثانيًا: مراجع المادة اللغويَّة المعاصرة:

46. الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، لإدوارد سعيد، ترجمة: الدكتور محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
47. إسلام السوق، لباتريك هايني، نقله إلى العربية: عومريّة سلطاني، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط1، 1436هـ- 2015م.
48. اشتهاء العرب، لجوزيف مسعد، ترجمة: إيهاب عبد الحميد، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2014م.
49. جدلية الخفاء والتجلِّي: دراسات بنيوية في الشعر، لكمال أبو ديب، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م.
50. الحداثة وما بعد الحداثة، للدكتور عبد الوهاب المسيري والدكتور فتحي التريكي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1424هـ- 2003م.
51. الحركة النسائية الحديثة، لإجلال خليفة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2017م.
52. الخيال (من الكهف إلى الواقع الافتراضي)، للدكتور شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة (360)، الكويت، 2009م.
53. الدولة المستحيلة، الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي، لوائل حلاق، ترجمة: عمرو عثمان، المركز العربي للأبحاث والنشر، بيروت، ط3، 2015م.
54. السر الأعظم، للدكتور مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
55. سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها، لنوح فيلدمان، ترجمة: الطاهر بوساحية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2014م.

56. السلطوية في التربية العربية، للدكتور يزيد عيسى السورطي، سلسلة عالم المعرفة (362)، الكويت، 2009م.
57. العدالة اللغوية والنظامة والتخطيط، للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، كنوز المعرفة، عَمَّان، الأردن، ط1، 1441هـ- 2019م.
58. العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، بنسالم حمِّيش، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2011م.
59. العصر المماليكي في مصر والشام، للدكتور سعيد عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1976م.
60. العقل العربي ومجتمع المعرفة، للدكتور نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة (369)، الكويت، 2009م.
61. الفجوة الرقميَّة، للدكتور نبيل علي والدكتورة نادية حجازي، سلسلة عالم المعرفة (318)، الكويت، 2005م.
62. مجلة الآداب، م27، ع2، جامعة الملك سعود، الرياض، 2015م- 1436هـ.
63. مستقبل الثورة الرقميَّة، لنُخْبَة من الكتَّاب، كتاب العربي (55)، الكويت، 2004م.
64. مقالات في الفردانيّة، للويس دومون، ترجمة: الدكتور بدر الدين عردوكي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م.
65. النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، لهشام شرابي، نقله إلى العربية: محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2019م.

ثالثًا: المواقع الرقْميَّة:

66. https://www.police.wa.gov.au/Traffic/Cameras/Speed/Hoon-driving
67. https://www.definitions.net/definition/HOON
68. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9
69. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9
70. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9
71. https://aawsat.com/home/article/3511

72. https://www.youm7.com/story/2020/2/20/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%87%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B2-2-1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%87%D9%86%D9%81%D9%88%D8%B2-2-%D8%B5%D9%81%D8%B1-%D8%B5%D9%88%D8%B1/4639683
73. http://www.alshams.club/2020/06/%D9%84%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%85%D8%B3%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%8A%D8%AA%D9%88%D8%A7%D9%81%D8%AF%D9%88%D9%86-%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%AF/
74. https://www.okaz.com.sa/article/791293
75. https://www.okaz.com.sa/local/na/1532746
76. https://www.okaz.com.sa/local/na/1754569
77. http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/a4fca11e-5f73-4235-a08e-edd0e22502c2
78. jp.gov.eg/ar/page1.aspx
79. https://www.bbc.com/arabic/live/53217644